مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص81- ص 133 يناير 2008
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

ضوابط الحوار مع الآخر

د. سعد عبد الله عاشور

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة – كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية – غزة- فلسطين

ملخص: تبرز هذه الدراسة ضوابط الحوار وآدابه وأخلاقياته التي إن رعيت كانت فرصة اتصال المسلمين بغير المسلمين أكبر وذلك لإيصال الإسلام لغير المسلمين من جهة وتضييق مساحة الخلاف بين العاملين للإسلام ونشر ثقافة الأخوة والتفاهم والحب بينهم من جهة أخرى.

ولا بد لكل حوار يراد له النجاح من أن ينطلق من مبدأ أساس يرمي إلى هدف ثابت؛ هو البحث عن الحقيقة من وجهة نظر الطرف الآخر. باعتبار أن إيمان الشخص بصواب رأيه لا يعني أن رأي الطرف الآخر غير صواب، ومتى تحقق هذا المنهج وتلك الرغبة أمكن القول بأن الحوار مثمر ومنتج .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالدعوة إليه حيث قال تعالى : **{ ادع إلى سبيل ربك بالحِكْمَةِ والموعِظَةِ الحسنَةِ }**(النحل : 125)، وإذا كانت الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هي الأسلوب الأمثل، فإن الحوار هو الصورة الأفضل الذي يتجسد فيه هذا الأسلوب، حيث يعتبر من أفضل الوسائل لإقناع الآخرين وتغيير سلوكهم وإيصال فكرة الإسلام إليهم، كما أنه يعد الوسيلة العلمية والحضارية في الرد على الذين يشغبون على الإسلام ويثيرون حول قضاياه ومسائله الشبهات، كما أنه يفيد في تلاقح الأفكار وبيان الخطأ فيها من الصواب، لهذا كله كان هذا البحث، الذي سميتُه " ضوابط الحوار مع الآخر " والذي بينت فيه أهم القواعد والآداب التي يجب أن يلتزمها كل من انبرى لحوار الآخر، حتى يكون الحوار ناجحاً محققاً الهدف المنشود منه .

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وتوصيات وذلك على النحو التالي :

المبحث الأول : بيان معنى ألفاظ عنوان البحث .

المبحث الثاني : منهج القرآن الكريم في الحوار .

المبحث الثالث : ضوابط الحوار مع الآخر .

المبحث الرابع : آداب الحوار وأخلاقياته .

أهداف البحث :

1- إبراز الرؤية الإسلامية في ضوابط الحوار وآدابه .

2- تقديم صورة مشرقة من القرآن الكريم والسنة المشرفة للحوار مع الآخر .

3- بيان أهمية الحوار اقتداء بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية.

4- إبراز قيمة الحوار لأنه من أرقى الأساليب الدعوية.

5- بيان أن الإسلام دين يقر مبدأ حرية الرأي ويضع الضمانات والضوابط لذلك.

6- الكشـف عـن الصفات والأخلاق الحميدة التي يجب على المحاور المسلم أن يتحلى بها عند دعوة غير المسلمين .

وبعد، فهذا جهد متواضع قمت به آملاً أن يسهم في تحقيق الأهداف الآنفة الذكر، فإن أصبت فبفضـل من ا ومنته، وإن كـان غير ذلـك فحسبي أنني لـم أدخر جهداً في سبيـل الوصول بـه إلى أرفع مستوى .

وا أسال أن يعلمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علمني، وأن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القـول فيتـبعون أحسـنه، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع حجة لي لا على، ويجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، والحمد رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا ونبينا ومعلمنا وقائدنا محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول
بيان معنى ألفاظ عنوان البحث

أولاً : المقصود بالضوابط :

أ- الضوابط لغة :

الضوابط جمع ضابط، جاء في تاج العروس : " ضبط : ضبطَه يضبطه ضبطاً، وضباطَةً بالفَتْح : حفِظَه بالحزمِ فهو ضابِطٌ أي حازم . وقالَ الليثُ : ضبطُ الشيءِ : لُزومه لا يفارقُه يقَالُ ذلِـك فـي كـل شيءٍ . وضبطُ الشيءِ : حِفْظُه بالحزم . وقالَ ابن دريدٍ : ضبطَ الرجلُ الشيء يضبطُه ضبطاً إذا أخَذَه أخْذاً شَديداً ورجلٌ ضابِطٌ أي قَوي شَديد البطْشِ والقُوةِ والجِسمِ .

والقـاعِدةُ جمعه ضوابِطُ . ورجلٌ ضابِطٌ للأمور : كثير الحِفْظِ لها . ومن أمثـالِهم : " هو أضبطُ مِن الأعمى" [1] .

ب- الضـوابط اصـطلاحاً : هي ما يجب أن يلْتَزم به من القواعد والأحكام والآداب، وغير ذلك، والمقصـود هـنا القوانيـن والقواعـد والآداب التي يجب أن يلْتَزمها كل من المتحاورين أثناء المحاورة للوصول إلى أفضل النتائج المرجوة من الحوار .

ثانياً : مفهوم الحوار

أ- الحوار في اللغة :

يعني تراجع الكلام، وفي لسان العرب: " وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة "[2] .

ب- الحوار في الاصطلاح :

هـو المعـنى اللغوي السابق نفسه، فهو إذاً: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصـومة بيـنهم بالضرورة أما الجدل: فهو: " إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة "[3] .

إن الحـوار والجدال لهما دلالة واحدة، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى : **{ قد سمع الله قولَ التي تُجادِلُك في زوجِها وتَشْتَكي إلى اللهِ والله يسمع تَحاوركُما إن الله سميع بصير}**(المجادلة :1)

---

(1) تاج العروس – 1 / 4907 – 4908 .

(2) لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور - دار صادر – بيروت – ط 1 – 4 / 217 .

(3) الكافية في الجدل – إمام الحرمين الجويني – تحقيق : د. فوقية محمود – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – 1300هـ - 1979م – ص 20 .

ويـراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس : مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، ورد الفاسد من القول والرأي .

والحوار والمحاورة مصدر حاور يحاور، ومعناه لغة الجواب والمجادلة، قال ابن منظور: " وهـم يـتحاورون؛ أي يـتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة "[(4)] .

والحـوار كلمـة تسـتوعب كـل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كانت منبعثة من خلاف المتحاوريـن أو عن غير خلاف؛ لأنها تعني المراجعة في المسألة موضوع التخاطب، وعلى هذا فالحوار يدال على التقارب والصداقة .

ج- العلاقة بين الحوار والجدل :

قـال ابن فارس في الجدل : " الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام "[(5)] .

ويفـرق العلماء بين الحوار والجدل حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر .

فـيما نجـد أن الحـوار عنوان من عناوين التقارب، وقناة من قنوات التواصل المجتمعي، وركيزة من ركائز بناء الثقة، وتقريب وجهات النظر .

ومن الواضح أن هناك فارقاً بين معنى كل من الكلمتين:

- فكلمـة الحوار تتسع لكل أساليب التخاطب، سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحي بالخلاف أو يوحي به.
- بينما كلمة (الجدال) تختزن في داخلها معنى الخلاف والشجار، وتحمل في عمقها أيضاً معنى التحدي والصراع[(6)]، لذلك كان التصنيف القرآني المتوازن:

1) جدال بالتي هي أحسن. 2) جدال بغير التي هي أحسن.

وعلـى هـذا الأساس أقول: ربما كانت كلمة الحوار تضفي جواً يلطف من الخلاف، بينما الجـدال يعـبر عن حركة الصراع والجدلية، جدلية الإنسان في حركة فكره وعاطفته، وهذا مما

---

(4) لسان العرب - دار صادر – بيروت – ط 1 – 4 / 217 ..

(5) معجـم مقايـيس اللغـة – أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ممصر - ط 2 – 1389هـ - 1969م – 1 / 433 .

(6) في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/4،1415هـ،1994م، ص:12.

يعطـيه معـنى الحـيوية والفعالـية في وجوده، وانطلاقاً من هذا كان الإسلام واقعياً في أسلوب مواجهة هذه الجدلية في الإنسان بأن وضع للجدل شرط أن يكون بالتي هي أحسن، وكانت نتيجة لذلك التصنيف المتوازن(7).

غـير أن الملاحظ أن ا تعالى سمى المجادلة حواراً كما في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:] وبالـتأمل فـي مصـطلحي الحوار والجدال نجد أنهما يلتقيان في دلالتهما على مراجعة الكلام، والتخاصم والتنازع في مجاوبة الحديث(8)..

د- مدلول الحوار :

ممـا سبق يتبين أن الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسمياً أم غـير رسـمي، مكتوباً أم شفوياً . وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها.

ومـن هذا الفهم يمكن أن يطلق الحوار على تشابك الثقافات بين بعضها الآخر وما يحصل من جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتصويب بعضهم لبعض وتأثير بعضهم في بعض ن بشكل يعـزز عـرى الوحدة المصيرية، ويقوى سياج المجتمع من الداخل، ويحصنه، ويحميه، من كافة المؤثـرات السـلبية الخارجـية، وكلمـا كان الحوار بين الأخوة أصحاب الهم الواحد، والقضية الواحـدة، والمصير الواحد رغم اختلافاتهم الفكرية ومشاربهم السياسية، نابعاً من إرادة ذاتية غير موجهة، أو منحازة لطرف على حساب طرف آخر كانت ثمار هذا الحوار أطيب، وأصلب .

هـ - مـا المقصود بضوابط الحوار : والمقصود هنا القوانين والقواعد والآداب التي يجب أن يلْتَزمها كل من المتحاورين أثناء المحاورة للوصول إلى أفضل النتائج المرجوة من الحوار .

فالمراد بضوابط الحوار مجموعة القواعد والآداب والأحكام، وهي ما يسمى آداب البحث، أو علم المناظرة، أو آداب الحوار والمناظرة، ومقصودها العصمة من الخطأ في الحوار، وسهولة الخـوض فـي مـناظرة الخصوم، ومعرفة صحيحها من فاسدها، فالحوار بدون مراعاة قواعده وقوانيـنه وآدابـه وأحواله يكون مجرد صدام بين الخصوم لا يوصل إلى صواب، ولا يكون فيه

---

(7) انظـر: فضـل ا ، آيـة ا السيد محمد حسين: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك، بيروت، ط/1، 1414هـ، 1994م، ص7-8.

(8) السـودي، د. نجيب: محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بالجمهورية اليمنية، صنعاء، 1425هـ، 2004م، ص34-35.

مقنع[9].

قـال ابـن خلـدون : " فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظريـن في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، و منه ما يكـون خطـأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقـبول، وكـيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصـاً مـنقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال .

ولذلـك قيل فيه – أي فن الحوار - إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره "[10] .

وقـال أبـو محمد ابن الجزري في الإيضاح : " اعلم – وفقنا ا وإياك – أن معرف هذا العلم لا يستغني عنها ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر، لأن به تبين صحة الدليل من فساده، تحريـراً وتقريراً، وتتصح الأسئلة الوارة من المردوة إجمالاً وتفصيلاً، ولولاه لاشتبه التحقيق في المـناظرة بالمكابرة، ولو خُلي كل مدعٍ ومدعى ما يرومه على الوجه الذي يختار، ولو مكن كل مـانع مـن ممانعة ما يسمعه متى يشاء : لأدى إلى الخبط وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدلية تفصـل بيـن الحق والباطل، وتبين المستقيم من السقيم، فمن لم يحط بها علماً كان في مناظرته كحاطب ليل "[11] .

ثالثاً : معنى لفظ الآخَر :

الآخَـر هـو كل من حاورته أو حاورك، بغض النظر عن جنسه، أو عمره، أو ديانته، أو مسـتواه العلمي، وعليه فالآخَر قد يكون مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً، أو ملحداً لا يدين بأي دين، أو وثنياً، أو غير ذاك .

فالآخر: يتحدد تبعاً للمتكلم مفرداً كان أو جمعاً (أنا ونحن) وجمعه "الآخرون". وهو مرتبط بالذات والذوات. وقد شاع استخدامه للدلالة على "الغير". فهناك في واقع الأمر أربع صور تتعلق بالأنـا وبالآخر، هي : صورته عني، وصورته عن نفسه، وصورتي عنه، وصورتي عن نفسي، وهي ليست متماثلة.

---

(9) انظر : رسالة آداب البحث – أحمد مكي – ص 19 .

(10) مقدمة ابن خلدون – دار الشعب (بدون معلومات أخرى) - 1 / 573 .

(11) انظر : شرح الكوكب المنير – ص 370 .

والآخـر موجـود في كل دوائر انتماء "الأنا". الانتماء الوطني لقطر له "جنسية". والانتماء الدينـي وفـي إطاره الانتماء المذهبي. والانتماء القومي وفي إطاره الانتماء الطائفي. والانتماء الحضاري. ويجتمع الأنا والآخر في دائرة الانتماء الإنساني لأمنا الأرض وللبشرية جمعاء. وقد عبر عن الإدراكِ بهذه الحقيقة الشاعر العربي بقوله : "إذا كان أصلي من ترابٍ فكلُها بلادي وكل الناسِ فيها أقاربي"

فـإذا ما ركزنا النظر على الانتماء للدولة الوطنية القطرية بحدودها القائمة، نجد أن الآخر هو المقيم فيها أو الزائر لها الذي يحمل جنسية أخرى، فهو "غير مواطن".

و"الآخـر" بالنسبة للانتماء الديني هو من يعتنق ديناً آخر. فهو عند المسلمين واحد من غير المسـلمين الذين لديهم ديانات أخرى. وهو أيضاً بالنظرة المذهبية في الدين الواحد ينتمي لمذهب آخر.

نسوق مثلاً على هذا التعدد لمفهوم الآخر تبعاً لدائرة الانتماء، ما طرحه يوسف القرضاوي فـي كـتابه "أوليات الحركة الإسلامية" الصادر عام 1990م. فهو يتحدث عن "الحركة الإسلامية والأقلـيات العرقـية والدينـية وعـن الحوار مع الآخرين" الذين صنفهم إلى علمانيين، وعقلاء الحكمـاء، والعقـلاء فـي الغـرب، والحوار الديني "الإسلامي المسيحي"، والحوار الفكري مع المستشرقين والحوار السياسي مع الغرب(12).

المبحث الثاني

ضوابط الحوار في القرآن الكريم :

اهـتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالحوار والتشاور والاختلاف والجدل، ووضع أسس التخاطب والتشـاور والـتحاور، وتبادل أوجه الرأي وإنهاء المنازعات بين الأفراد والجماعات عن طريق التفاوض، فجاء في الحوار بمنهج تحاور وتفاهم وسلام، وليس منهج عصبية وشقاق ولَدِدٍ، يتجلى هـذا في الرجوع إلى السيرة النبوية، وتاريخ الإسلام، وعهد النبي عليه الصلاة والسلام، ومعرفة الأسلوب الذي كان ينهجه عليه الصلاة والسلام، في تبليغ الدعوة إلى الأفراد والجماعات والأمم، والأسـلوب الذي لقنه القرآن الكريم في هذا المجال مثل قوله تعالى : **{ قُلْ يا أَهلَ الكِتَابِ تَعالَوا إِلى كَلمةٍ سواء بينَنَا وبينَكُم أَلا نَعبد إِلا اللّه ولا نُشْرِك بِهِ شَيئاً ولا يتخِذَ بعضنَا بعضاً أَرباباً من دون اللّهِ }**(آل عمران : 64)، وقوله تعالى : **{ ادع إِلى سبِيلِ ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنَةِ**

---

(12) الحـوار مـع الآخر في الإسلام - أحمد صدقي الدجاني– مجلة التسامح، العدد 2 – 2003م – ص8 .

وجادلهم بالتي هي أحسن }(النحل : 125)، وقوله عز من قائل : **{ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقـاتلوكم فـي الديـن ولـم يخـرجوكم مـن دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}**(الممتحنة : 7).

وقـد ورد لفـظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: اثنان منها في صيغة الفعل؛ وهما :

قوله تعالى : **{ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا }**(الكهف : 34).

وقولـه تعـالى في نفس السورة : **{ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً }**(الكهف : 37).

وهنا نجد أن الحوار غايته بيان الحجة وتقديم البرهان على وجوب طاعة المخلوق للخالق.

أما الثالث في صيغة المصدر في قوله تعالى : **{ قد سمع ا ٌ قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى ا ِ وا ٌ يسمع تحاوركما إن ا َ سميع بصير }**(المجادلة : 5).

أولاً : جوانب الحوار التي حكاها القرآن الكريم هي[13] :

أ- مـا رد ا به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعـد الملـة ممـا جاء على ألسنة رسله وأنبيائه وما ألهم ا به عباده الصالحين من قول بـالحق ودفـع للـباطل وهـذا حوار بالحق بل هو أمر ضروري لتبليغ رسالة ا إلى أهل الأرض ودفـع مـا يعتورها من شبهات، وما يقف في طريقها من عقبات، وكشف ما يحاك ضدها من مؤامرات،وما يدبر لها من كيد وضلال.

وهـذا النوع من الحوار القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.

ب- مـا ورد في القرآن بطريقة الحوار، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار أو الترجي والدعاء، ومن هذا القبيل حوار إبراهيم عليه السلام مع ربه حيث قال : **{ رب أرني كيف تحيـي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولـكن ليطمئن قلبي ... }**(البقرة :260) وهكذا حوار الملائكة وجدال خولة بنت ثعلبة التي حكى ا قصتها في سورة المجادلة ونحو ذلك مما يرجع إلى هذا المعنى.

ج- مـا يأتـي على ألسنه الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها وما تنطوي عليه من مفاسد، وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل كما

---

(13) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم- الألمعي - مطابع الفرزدق التجارية – الرياض - ص 21 .

قال تعالى : **{ وجادلُوا بِالْباطِلِ لِيدحِضوا بِهِ الْحق }**(غافر : 5).

وقد تصدى القرآن الكريم لأصناف من المخالفين، فأنكر عليهم وحاورهم، وفند مزاعمهم، وأعلـن عـن فضائحهم، كل ذلك بغية هدايتهم واستجابتهم للحق، أو قطعهم وقمع حجتهم حماية للمؤمنين من شرهم وذوداً عن جناب الحق بدحض مفترياتهم .

ولعـل مـن أشهر من تصدى لهم القرآن الكريم بالحوار والإنكار عليهم هم : المشركون، وأهل الكتاب، والمنافقون(14).

ثانياً : معاملة القرآن الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والاعتقادية(15) :

إن المظهـر العـام للحـوار القرآني هو معاملة الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والاعـتقادية فكثـيراً مـا يكون حوار القرآن مع المشركين حوار هداية ودلالة وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم، بينما يكون حوار القرآن مع أهل الكتاب حوار تخطئه وإلزام لأنهم على علم.

أمـا حوار القرآن مع المنافقين فتبدو عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد، وسأورد النماذج التالية زيادة في الإيضاح:

أ- حوار القرآن مع المشركين :

وجـه القرآن الكريم أنظار المشركين إلي التأمل والنظر في الأمور عن تدبر وروية وإلي الاتعـاظ بمصـارع الطغاة المكذبين لرسلهم من الأمم الماضية، فقال تعالى : **{ أَولَم يسِيروا فِي الْأَرضِ فَينْظُروا كَيفَ كَان عاقِبةُ الَّذِين مِن قَبلِهِم كَانُوا أَشَد مِنْهم قُوةً وأَثَاروا الْأَرض وعمروها أَكْـثَر مِمـا عمـروها وجـاءتْهم رسـلُهم بِالْبيـنَاتِ فَما كَان الله لِيظْلِمهم ولَكِن كَانُوا أَنْفُسهم يظْلِمون}**(الروم : 9).

وناقشـهم فـي عـبادتهم للأصـنام مناقشة هادئة رغم اشتمال هذه المناقشة على التحدي والإفحـام والتخطـئة فقـال تعـالى : **{ إِن الَّذِيـن تَدعون مِن دونِ اللهِ عِباد أَمثَالُكُم فَادعوهم فَلْيسـتَجِيبوا لَكُـم إِن كُنْتُم صادِقِين أَلَهم أَرجلٌ يمشُون بِها أَم لَهم أَيدٍ يبطِشُون بِها أَم لَهم أَعين يبصِـرون بِها أَم لَهم آذَان يسمعون بِها قُلِ ادعوا شُركَاءكُم ثُم كِيدونِ فَلا تُنْظِرونِ }**(الأعراف : 194-195).

---

(14) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد - الدكتور عثمان علي حسن - ط 1 - 1420هـ - 1999م - دار اشبيليا - الرياض بالسعودية - 1 / 413 .

(15) مناهج الجدال في القرآن الكريم – زاهر الألمعي – ص 419 - 419 .

وأمام دعاويهم بأن محمداً ﷺ مجنون وجه القرآن أنظارهم إلي نوع من التبصر في الأمور والـتجرد من العصبية والنظر إلي الحقائق بمنظار العدل والإنصاف، من فقال تعالى : **{ قُلْ إِنما أَعِظُكُم بِواحِدةٍ أَن تَقُوموا لِلهِ مثْنَى وفُرادى ثُم تَتَفَكَّروا ما بِصاحِبِكُم مِن جِنةٍ إِن هو إِلا نَذِير لَكُم بين يدي عذَابٍ شَدِيدٍ}**(سـبأ : 46).

ب- حوار القرآن مع أهل الكتاب :

نـاقش القـرآن أهـل الكتاب في بعض القضايا التي زعموها وبين خطأهم وتناقضهم فيما يدعون، فقـال تعـالى : **{ كُلُّ الطَّعامِ كَان حِلاًّ لِبنِي إِسرائِيلَ إِلا ما حرم إِسرائِيلُ علَى نَفْسِهِ مِن قَبلِ أَن تُنَزلَ التوراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتوراةِ فَاتْلُوها إِن كُنْتُم صادِقِين }**(آل عمران : 93).

وناقضـهم القرآن في دعواهم أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً فقال تعالى : **{ يا أَهـلَ الْكِتَابِ لِم تُحاجون فِي إِبراهِيم وما أُنزِلَتِ التوراةُ والإنجِيلُ إِلا مِن بعدِهِ أَفَلا تَعقِلُون }**(آل عمران : 65).

{ مـا كَان إِبراهِيم يهودِياً ولا نَصرانِياً ولَكِن كَان حنِيفاً مسلِماً وما كَان مِن الْمشْرِكِين }(آل عمران : 67).

ج- جدل القرآن مع المنافقين :

أما جدال المنافقين فقد اشتمل أول سورة على أبرز ما في الجدل معهم من التهديد والوعيد الشـديد، فقال تعالى:**{ ومِن الناسِ من يقُولُ آمنا بِاللهِ وبِالْيومِ الآخِرِ وما هم بِمؤْمِنِين }**(البقرة : 8)، إلـى قولـه : **{ وإِذَا قِـيلَ لَهم لا تُفْسِدوا فِي الأَرضِ قَالُوا إِنما نَحن مصلِحون أَلا إِنهم هم الْمفْسِـدون ولَكِن لا يشْعرون وإِذَا قِيلَ لَهم آمِنُوا كَما آمن الناس قَالُوا أَنُؤْمِن كَما آمن السفَهاء أَلا إِنهـم هم السفَهاء ولَكِن لا يعلَمون وإِذَا لَقُوا الَّذِين آمنُوا قَالُوا آمنا وإِذَا خَلَوا إِلَى شَياطِينِهِم قَالُوا إِنا معكُم إِنما نَحن مستَهزِئُون الله يستَهزِئُ بِهِم ويمدهم فِي طُغْيانِهِم يعمهون أُولَئِك الَّذِين اشْتَروا الضلالَةَ بِالْهدى فَما ربِحت تِجارتُهم وما كَانُوا مهتَدِين }**(البقرة : 11- 16).

ثالثاً : المنهج القرآني في الحوار :

تـنطلق رحلة المنهج الحواري في القرآن الكريم من بداياته الأولي، حيث لا بد أن يتكافأ الطـرفان من حيث الاستعدادات النفسية وامتلاك القدرة علي الحوار، ويلتزم الأطراف بالخضوع لمـا يكشـف عنه الحوار من حقائق. فإذا تم، فإما أن يصل الأطراف إلي نتيجة واحدة فيكون قد نجـح، وإمـا أن لا يقتـنع أحد الفريقين، أو أن يعاند فإنه يمارس حقاً اعتُرف به بقبول الحوار، وعندما ينتهي الحوار إلي هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حواره تتمثل بتذكير الطرف الآخر أنه مسؤول عما وصل إليه. تلك هي عناوين لتفاصيل قرآنية حول الحوار نذكر بعضها فيما يلي:

1- **امـتلاك الحرية الفكرية :** لا بد لكي يبدأ الحوار أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي يـرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة فلا ينسحق أمام الأخر لما يحس فيه من العظمة والقـوة التي يمتلكها الآخر فتتضاءل إزاء ذاك ثقته بنفسه فيتجمد ويتحول إلي صدى للأفكار التـي يتلقاها من الأخر[16].لذلك أمر ا رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه **{ قُلْ إنما أَنَا بشَـر مِـثْلُكُم يوحى إلي أَنما إلهكُم إله واحِد }**(الكهف : 110) **{ قُلْ لا أَملِك لِنَفْسِي نَفْعاً ولا ضـراً إلا ما شاَء الله ولو كُنْتُ أَعلَم الْغَيب لاستَكْثَرتُ مِن الْخَير وما مسنِي السوء إن أَنَا إلا نَذِير وبشِير لِقَومٍ يؤْمِنُون }**(الأعراف : 188).

2- **مناقشـة مـنهج التفكـير:** فإذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يناقش فيه هو المـنهج الفكري قبل المناقشة في طبيعة الفكرة وتفاصيلها في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلـوا عـنها وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية فلكل مجاله ولكل أصوله التـي ينطلق منها ويستند إليها[17] **{ وإِذَا قِيلَ لَهم اتبِعوا ما أَنْزلَ الله قَالُوا بلْ نَتبِع ما أَلْفَينَا علَـيهِ آباءنَـا أَولَـو كَان آباؤُهم لا يعقِلُون شَيئاً ولا يهتَدون}**(البقرة : 170)، **{ وكَذَلِك ما أَرسـلْنَا مِـن قَـبلِك فِي قَريةٍ مِن نَذِيرٍ إلا قَالَ مترفُوها إنا وجدنَا آباءنَا علَى أُمةٍ وإِنا علَى آثَارِهِم مقْتَدون }**(الزخرف : 23-24) .

3- **الابتعاد عن الأجواء الانفعالية :**

مـن عوامـل نجاح الحوار أن يتم في الأجواء الهادئة ليبتعد عن الأجواء الانفعالية، لذا فقد دعا القرآن الكريم إلى التجرد عن الأجواء الانفعالية في حال أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها أو ننسـجم مع موقف أو نبتعد عنه حيث نقل القرآن الكريم أسلوب النبي ﷺ في الحوار مع خصوم العقـيدة عـندمـا واجهوه بتهمة الجنون فقال تعالى**{ قُلْ إنما أَعِظُكُم بِواحِدةٍ أَن تَقُوموا لِلهِ مثْنَى وفُـرادى ثُم تَتَفَكَّروا ما بِصاحِبِكُم مِن جِنةٍ إن هو إلا نَذِير لَكُم بين يدي عذَابٍ شَدِيدٍ}**(سبأ : 46) فقد اعتبر القرآن موضوع الاتهام للنبي ﷺ بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على الـتجمع العدائـي لخصـومه آنذاك، مما يجعلهم لا يملكون أفكارهم ولا يستطيعون أن يزنوا بها

---

(16) الحـوار مع الذات. والآخر - عبد الستار ابراهيم الهيتي - سلسلة كتاب الامة (99)، موقع الوحدة الاسلامية .

http://www.alwihdah.com/download.asp

(17) الحـوار منطلقـنا نحـو البـناء - محمـد علي الحرز - الحوار وآدابه – 2004 - موقع الوحدة الإسلامية،2004.

http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=762

صحة القضايا وفسادها، ولذلك دعاهم إلى الانفصال عن الجو المحموم بأن يفكروا مثنى وفرادى فـي موقف تفكير وتأمل ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة، حيث أن التفكير الهادئ سوف يعيد الأمور إلى نصابها ويرفض تلك التهمة جملة وتفصيلاً لينتهي بالإقرار بأنه رسول ا إلى الناس[18] .

والواقـع أنـنا نجـد هـذه الأجواء الانفعالية في أكثر من مناسبة عندما يكون الأمر متعلقاً بالصـراع الـذي يخوضـه الإسلام مع أعدائه، حيث يتم إطلاق الاتهامات بلا حساب ولا روية ويـرفض الطـرف الآخر الجلوس للحوار، وأبرز دليل على ذلك ما يجري هذه الأيام من اتهام لبعض الدول أو الجماعات الإسلامية واعتبارها مسئولة عن تنفيذ جملة من أعمال العنف من دون تقديم دليل مقنع على تلك الاتهامات. فنحن نرى أنه في ظل هذه الأجواء المشحونة ترفض الدول الغربـية مجـرد إبداء الرأي أو سماع الطرف الآخر فضلاً عن الدخول معهم في حوار للوقوف على حقيقة الأمور والبحث عن حلول منطقية لها[19] .

إن الأجـواء الانفعالية والمشحونة تجاه الإسلام تأخذ اليوم أشكالاً متعددة لتأليب الناس على هـذا الديـن وأحكامه، ومن الأمثلة على ذلك ما يفعلونه في تصويرهم القانون الإسلامي بقطع يد السارق بأنه من الأساليب الوحشية التي لا تنسجم مع قوانين العصر الحديث، وهكذا ينطلقون من أجـواء انفعالية، ويتناسون أن التجارب المعاصرة الكثيرة لم تستطع أن تحقق نتيجة ملموسة في هذا المجال في حين أن حكم الإسلام بقطع يد السارق كان عاملاً مهماً من عوامل منع السرقة في المجتمعات الإسلامية وأمن الناس على أموالهم وممتلكاتهم .

وقـد نجـد تلك الأجواء الانفعالية عند معالجة عدد من القضايا الإسلامية كقضية الطلاق، وتعـدد الـزوجات، وقضـية الحجـاب، والسـفور حيث يتم الحوار فيها وفقاً لما تمليه العاطفة والرغـبات الشهوانية دون الالتفات إلى الإيجابيات التي يرمي الإسلام إلى تحقيقها في تشريعاته وأحكامـه، ممـا لا يـدع مجالاً للمحاور الإسلامي أن يوضح وجهة نظره في توضيح المفاهيم الإسـلامية التـي تتعلق بمجمل القضايا المطروحة، الأمر الذي يؤدي إلى طغيان الجو الانفعالي المحموم على الأجواء الهادئة التي تتيح التفكير السليم والحوار العلمي والبناء .

4- عـدم التعصـب لفكـرة مسـبقة: ويعني هذا الشرط أن يتخلى كل من الطرفين المشاركين

(18) الحوار وتوجيه الأبناء - علي بن هشبول الشهري - موقع الوحدة الإسلامية - 2003.
http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=287

(19) عـبد السـتار ابراهـيم الهيتي:"الحوار مع الذات. والآخر " سلسلة كتاب الامة (99)، موقع الوحدة الاسلامية .
http://www.alwihdah.com/download.asp

بالمحـاورة حـول موضوع معين، عن التعصب لوجهة نظر مسبقة، وعن التمسك بفكرة يرفض نقدهـا أو مخالفتها، لأن التمسك بوجهة النظر السابقة يتنافى مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتـداول الطـروحات وسـماع الرأي الآخر. وقد أكد القرآن الكريم على هذا المفهوم بصراحة واضـحة، وأرشـدنا إلـى الأخـذ بهذا المبدأ عندما وجه رسول ا ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورتـه لهم:**{ وإنا أَو إياكُم لعلى هدى أَو في ضلالٍ مبينٍ}**(سبأ : 24)، وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنا كانت. ونظراً لأن موضوع المحاورة التي تـتحدث عـنها هـذه الآية توحيد ا تعالى أو الإشراك به، وهما يدوران حول أصل عظيم من أصـول العقـيدة الإسلامية، كان من البديهي أن الهداية في أحدهما، وأن الضلال في الآخر لأنه باطل، ومن أجل ذلك كان التخلي عن التعصب فكرة سابقة يتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة .

5- **التسـليم بإمكانـية صواب الخصم:** ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأن الخصم قد يكـون علـي حـق فبعد مناقشة طويلة في الأدلة علي وحدانية ا تأتى هذه الآية **{ قُلْ من يـرزقُكُم من السماواتِ والأَرضِ قُلِ الله وإنا أَو إياكُم لعلى هدى أَو في ضلالٍ مبينٍ }**(سبأ : 24) فطـرفا الحـوار سواء في الهداية أو الضلال ثم يضيف علي الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر علي القبول بالحوار**{ قُلْ لا تُسأَلون عما أَجرمنا ولا نُسأَلُ عما تَعملُون }**(سبأ : 25) فـيجعل اختـياره هـو بمرتبة الإجرام على الرغم أنه هو الصواب ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي **{ قُلْ يجمع بيننَا ربنَا ثُم يفْتَح بيننَا بِالْحق وهو الْفَتاح الْعلِيم }**(سبأ : 2) .

6- **العـزم على الالتزام باتباع الحق:** ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم بل لا بـد من التعهد والالتزام باتباع الحق إن ظهر علي يديه حتى ولو كان التعهد باتباع ما هو بـاطل أو خـرافة إذا افـترض أنـه ثبت وتبين أنه حق **{ قُلْ إِن كان لِلرحمن ولَد فَأَنَا أَولُ الْعابِدِين }**(الزخرف : 81) .

فلابـد لمـن يدخـل في عملية الحوار أن يعد نفسه إعداداً تاماً لتقبل النتائج التي يئول إليها الحـوار ويهيـئ عقله للاقتناع بها، لأن رفض النتائج وعدم تقبلها يقلب الحوار إلى جدل عقيم لا يـراد مـنه سـوى المزايدات الجدلية التي تعود بالحوار إلى ما يناقض هدفه وغايته، ولقد عاب القرآن الكريم على أولئك الذين يحاورون رسول ا ﷺ دون أدنى استعداد لتقبل نتيجة المحاورة، فقـال تعـالى : **{ ومنْهم من يستَمِع إِلَيك وجعلْنَا على قُلُوبِهِم أَكِنةً أَن يفْقَهوه وفِي آذَانِهِم وقْراً وإِن يروا كُلَّ آيةٍ لا يؤْمِنُوا بِها حتى إِذَا جاءوك يجادِلُونَك يقُولُ الَّذِين كَفَروا إِن هذَا إِلا أَساطِير الأَولِيـن }**(الأنعـام : 25)، فهؤلاء يستمعون إلى الدعوة ولكن قلوبهم مغلقة وآذانهم مسدودة عن

الإصـغاء إلـيها فهم معرضون عن الإيمان بها لعدم استعدادهم لقبول نتائج الحوار إنكاراً وكفراً وعناداً، وليس لديهم ما يواجهون به الدعوة إلا كلمة لا تعبر عن أية مسئولية فكرية وهي قولهم : **{ إن هذا إلا أساطير الأولين }** دونما حجة أو برهان على ذلك .إن المحاور الذي لا يكون مستعداً لاتـباع الحـق الـذي يـئول إليه الحوار يدخل دائرة المكابرة والجهل، ويبتعد عن الموضوعية العلمـية[20] وفـي هذا يقول ا تعالى : **{ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا علـيهم كل شيءٍ قبلاً ما كانُوا ليؤمنُوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلُون}**(الأنعام : 111) فليسـت القضـية قضية آيات تقترح ليستجاب لها أو لا يستجاب، بل القضية هي فقدان الاستعداد النفسي لاتباع الحق مهما كانت الأدلة والبراهين .

7- الانضـباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف: فإذا تم الالتزام بهذه الأسس فإن الحـوار يـنطلق معتمداً علي قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فما أكثر ما يرد في القرآن **{ هاتُوا برهانكُم }**(البقرة : 111)، وقال تعالى مرشداً إلي اعتماد العلم والحجة في الحوار**{ ومن الناس من يجادلُ في اللهِ بغير علمٍ ولا هـدى ولا كتابٍ منيرٍ }**(الحج : 8)، **{ ها أنتُم هؤُلاءِ حاججتُم فيما لكُم بهِ علم فلِم تُحاجون فـيما ليس لكُم بهِ علم والله يعلم وأنتُم لا تعلمون }**(آل عمران : 66)، **{ فأتُوا بكتابكُم إن كنتُم صـادقين }**(الصافات : 157) وفي اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة يأمر ا موسى عليه السلام **{ اذهب أنتَ وأخُوك بآياتي ولا تنيا في ذكري{42} اذهبا إلى فرعون إنه طغى{43} فقُولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى{44}**(طـه : 42-44) ويأمر باتباع الحكمة في الدعوة **{ ومن أحسن قـولاً ممـن دعـا إلى اللهِ وعمِلَ صالحاً وقالَ إنني من المسلمين{33} ولا تستوي الحسنةُ ولا السـيئةُ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميم{34}**(فصلت : 33-34)، وتأكـيداً لهـذا المـنهج ينهي ا المسلمين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السب والتسـفيه لمعـتقدات الآخـر **{ ولا تسـبوا الذين يدعون من دون اللهِ فيسبوا الله عدواً بغير علمٍ}**(فصلت : 33-34).

8- ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج : إذا سار الحوار جاداً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف فلا بد أن يصلوا جميعا إلي ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلي الحق وتأييد

---

(20) كـيف نحـول الحـوار إلى تفاهم والعراك إلى تفاهم - فاضل الصفار - مجلة النبا - مجلة فكرية شهرية - المستقبل للثقافة والإعلام - العدد 36 - 37 السنة الخامسة جمادى الأولى 1420هـ - 1999م.

الصواب، فإذا لم يقتنع المحاور بالحجج فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كفله له رب العزة وسيكون مسئولا عن ذلك أمام ا .وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدء دون حاجة إلي التوتر والانفعال { **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ** }(هود : 3)، {**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**}(القصص : 55) .

9- التأكـيد علـي استقلالية كل طرف ومسئوليته عن فكره: قبل الانفصال بين المتحاورين يتم التأكـيد علـي استقلالية كل محاور ومسئوليته عن نفسه ومصيره{ **إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيـن** }(الأنعام : 138)، { **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** }(هود : 93)، وعلي لسان شعيب : { **وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ** }(هود : 39)، { **قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَـمِيعٌ قَرِيبٌ** }(سبأ : 50)،{ **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ** }(هود : 39)،إنهـا مسـئوليه فردية لا تداخل فيها { **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** }(سبأ : 26) .

10- الأشـهاد علـي المـبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار: وفي آخر الحوار يتم إشهادهم علي المبدأ والتمسك به{ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** }(آل عمران : 64) ولا حاجة أن يتابع الخصم على ما بدر منه من إساءات في الحوار، وليكن العفو والصبر أساساً وخلقاً في التعامل مع الجاهلين { **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** }(الأعراف : 199)،{**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** }(المزمل : 10).

وهكـذا يتبين لنا أن الحوار وفق المنهج القرآني لا ينطلق من منطق الوصاية على الآخر، والمحـاورة قضية بحث عن الحق حيث كان واتباعه إذا ثبت، الأمر الذي يؤكد مصداقية المسلم في اتباع الحق، وهو تكليف صريح في الحوار{ **قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** } .

المبحث الثالث

ضوابط الحوار مع الآخر

لا بـد لكـل حوار يراد له النجاح من أن ينطلق من مبدأ أساس يرمي إلى هدف ثابت؛ هو البحـث عـن الحقيقة من وجهة نظر الطرف الآخر. باعتبار أن إيمان الشخص بصواب رأيه لا يعنـي أن رأي الطرف الآخر غير صواب، ومتى تحقق هذا المنهج وتلك الرغبة أمكن القول بأن الحوار منتج ومثمر ومفيد .

ومن الضروري أن يتلقى المسلم - وبخاصة الداعية إلى ا - أسس الحوار وأصوله، في عالم يموج اليوم بالنظريات الكافرة والاتجاهات المنحرفة، فقد أصبح الحوار فنا يدرس -أحيانًا- باسم: فن الجدل، وأحيانًا يسمونه: أدب الحوار والمناظرة.

إضـافة إلى فن آخر له علاقة كبيرة بالموضوع، وهو ما يسمى بفن العلاقات العامة، الذي تقام فيه دورات لكثير من الموظفين، والمتخصصين في العلاقات العامة، والدعاة، وغيرهم .

والعلاقـات العامـة تعني: حسن الاتصال بالآخرين؛ لإقناعهم برأي، أو لترويج سلعة من السـلع، أو تصحيح فكرة، أو التمهيد لقضية من القضايا من خلال الاتصال بالناس، فهو فن لابد للداعية أن يتعلمه نظريا وعمليا.

وللحوار قواعد وضوابط كثيرة، نعرض بعضها[21] فيما يلي :

1- تحرير محل النزاع وتحديد المفاهيم والمصطلحات :

إن تحريـر محـل النزاع، يؤدي إلى حسن الاقتناع ويمنع من تشعب الحديث وإطالة النقاش وتشـعبه، كما أن الألفاظ متى تحددت معانيها والقضايا متى وضحت معالمها، سهل الوصول إلى الاتفـاق بيـن المختلفيـن وظهـور الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة وتطمئن إلى صحته العقول السليمة.

كما أن تحديد محل النزاع قبل الحوار يرشد المتحاورين أثناء الحوار إلى قضية معينة مما يؤدي إلى عدم تشعب الحوار إلى شعب كثيرة قد تؤدي إلى ضياع الهدف وتلاشي الأفكار، وهذا بدوره يؤدي إلى طول الحوار بلا طائل والدوران في حلقة مفرغة .

يقول الدكتور محمد البهي – رحمه ا - في كتابه" تحديد المفاهيم أولاً ": " لم يكن اختلاف الـناس فـي الـرأي، واختلافهم في تطبيقه، إلا وليد الاختلاف في تحديد مفاهيم الأشياء ومدلول الكلمـات والمصـطلحات ولم يكن قيام المذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ولم تكن التبعية لها، والجحـود علـيها إلا نتيجة الاختلاف في الرأي وفي تطبيقه "[22]. وكثيراً ما يحتد النزاع حول

---

(21) انظـر هذه الضوابط في : أدب الحوار – د. محمد بخيت – كتاب مؤتمر مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغـيرات العصـر – 1 / 68 ومـا بعدهـا، والحـوار :أصوله وضوابطه وأثره على الدعوة الإسلاميـة – أ. يوسف علي فرحات - كتاب مؤتمر مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر – 1 / 169 وما بعدها .

(22) أدب الحـوار فـي الإسـلام - د. محمـد سيد طنطاوي- ط دار النهضة - مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م - ص54.

معنى أو مفهوم معين، لو حدد بدقة وشرح بجلاء لامكن للطرفين أن يلتقيا عند حد وسط. وكثيراً مـا يشـتد الخلاف بين فريقين، ويثور العجاج بينهما، ثم يتبين في النهاية أن الخلاف كان لفظياً، وأن لا ثمرة عملية تجنى من ورائه.

إن تحديـد المفاهيم، وتوضيح المصطلحات، وإزالة الغبش واللبس عنها، يقرب المسافة بين المختلفين وقد يزيل الخلاف من أساسه إذا صدقت النيات.

2- وحدة الموضوع وتسلسل الأفكار:

وأعني بها: عدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف "فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضوع معين، تعمدوا أن يسلكوا ما يسمى في هذه الأيام بخلط الأوراق، بحيث لا يدري العقلاء في أي شيء هم مختلفون وغيرهم، وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفـروع التي لا تكاد تعرف لها أصلاً"(23). فالمحاور الناجح هو الذي يرتب أفكاره ويربط بينها ويحـذر عند تزاحمها من اختلافها لأن هذا يؤدى إلى اضطرابها ومن ثم الانحراف عن موضوع النقاش والحوار.

"والموضـوعية تعني عدم تغليب دوافع الذات وعواطفها ومصالحها وانحيازاتها الفكرية أو الاجتماعـية على العناصر الحقيقية أو الطبيعية أو الواقعية للموضوع أو الموقف محل الاختلاف بحيـث لا يتحدد الرأي، أو التقويم أو السلوك إزاءه بشكل تعسفي، وعلى غير ما يجب أن يكون من صدق ودقة وأمانة وإخلاص وتوازن وإنصاف وعدم جنوح أو مغالاة أو تطرف"(24).

3- ضرورة العلم بالقضية المطروحة للنقاش :

يعتبر العلم بالقضية المطروحة ضرورة، لأن جهل أحد الطرفين بالموضوع يقطع الحوار، ويذهب الوقت سدى ولا يحصل المقصود .

إن المطلـوب هو الوضوح في طرح الأفكار والتدليل عليها سواء كانت القضية سياسية أم اقتصادية أم دينية أم إدارية أو غير ذلك، ولن يتحقق هذا الوضوح إلا بالإحاطة بموضوع القضية والوقوف على أدلتها من النصوص وقرائن الواقع، وإلا فإن الكلام يبقى ادعـاء لا دليـل عليـه ولا قـيمـة له . وقـد قال ا تعالى محذراً من الجدل بغير علم : **{ ومن الناس من يجادِلُ في اللـهِ بِغَـير عِلمٍ ولا هـدى ولا كِتَابٍ منِيرٍ }**(الحج : 8)، وقال أيضاً : **{ قُلْ هاتُوا برهانَكُم إن**

(23) انظـر: أدب الحوار في الإسلام- د. محمد سيد طنطاوي- ط. دار النهضة- مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م - ص23.

(24) التربية الحوارية- د. علي القرشي- مجلة المسلم المعاصر- العدد 88 - ص97.

كُنْتُم صادِقِين }(البقرة : 111)، كما نهى القرآن الكريم ومنع القول والجدل بغير علم حيث قال الله تعالى : **{ ولا تَقْفُ ما ليس لك بِهِ عِلْم إن السمع والبصر والفُؤاد كُل أُولئِك كان عنْه مسؤُولاً }**(الإسراء : 36)[25] .

4- الانطلاق من المتفق عليه والتسامح في المختلف فيه :

إن بدء الحوار بمواطن الاتفاق طريق إلى كسب الثقة وانتشار روح التفاهم، ويصير به الحوار هادئاً وهادفاً، لأن الحديث عن نقاط الاتفاق وتقريرها يفتح آفاقاً من التلاقي والقبول والإقبال، مما يقلل الجفوة ويردم الهوة، ويجعل فرص الوفاق والنجاح أفضل وأقرب، كما يجعل احتمالات التنازع أقل وأبعد، وذلك نابع من التعاون فيما اتفق عليه، والتناصح فيما اختلف فيه .

إن البداية الهادئة للحوار تسمح بإيجاد جو من التسامح المشجع على الحوار ويكون ببيان القواسم المشتركة المتفق عليها بين الطرفين المتحاورين لتكون منطلقاً لمناقشة المختلف فيه، وهذا منهج القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : **{ ولا تُجادِلُوا أَهلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِي أَحسن إِلا الَّذِين ظَلَموا مِنْهم وقُولُوا آمنا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلينَا وأُنْزِلَ إِليكُم وإِلهنَا وإِلهكُم واحِد ونَحن له مسلِمون}**(العنكبوت : 46) فقررت الآية أسلوب الحوار في أن يكون بالتي هي أحسن إلا مع المعاندين المنكرين .

ومن حسن الحوار إظهار أحد الطرفين موافقته للآخر في بعض ما يؤمن به، فالمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليهم وهو القرآن الكريم، ويؤمنون بما أنزل على أهل الكتاب من توراة وإنجيل، وكذلك يوافق المسلمون أهل الكتاب في الإيمان بالله رب العالمين، إن إظهار الموافقة، هذا يريح الخصم ويوجد أرضية مشتركة لبدء الحوار الناجح .

والحال ينعكس لو استفتح المتحاورون بنقاط الخلاف وموارد النزاع، فذلك يجعل ميدان الحوار ضيقاً وأمده قصيراً، ومن ثم يؤدي إلى تغير القلوب وتشويش الخواطر، ويحمل كل طرف على التحفز في الرد على صاحبه متتبعاً لثغراته وزلاته، ومن ثم ينبري لإبرازها وتضخيمها، ومن ثم يتنافسون في الغلبة أكثر مما يتنافسون في تحقيق الهدف[26] .

إن العناية بنقاط الاتفاق والتلاقي، والتركيز على أوجه التطابق والاهتمام بتجميع النقاط المقاربة أو المشتركة من شأنها اختصار الوقت فضلاً عن تضيق هوة الخلاف، لذا فعلى المحاور

---

(25) انظر : الحوار في ضوء الكتاب والسنة - للقادري - ص 6-7 .

(26) انظر : الحوار في ضوء الكتاب والسنة - للقادري - ص 9-10، أصول الحوار وآدابه - صالح بن حميد - ص 3 .

أن يحـذر البدء بنقاط الاختلاف لأن ذلك قد ينسف الحوار من أوله إلى آخره، ويكدر الخواطر،و يعكر الأجواء.

ويجـب علـيه كذلـك أن يـتعاون في المتفق عليه ويتسامح في المختلف فيه وبهذا يتحقق الانسـجام مع القاعدة الذهبية التي صاغها العلامة المجدد السيد محمد رشيد رضا حيث يقول : " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".

وممـا يعيـن على التسامح وأن يعذر بعضنا بعضاً في الخلافيات، الأخذ بعين الاعتبار ما ذهب إليه بعض الأصوليين من إمكانية تعدد الصواب في المسألة الواحدة(27).

وممـا يسـاعد كذلـك على التسامح وتبادل العذر فيما اختلف فيه: الاطلاع على اختلاف العلمـاء ليعرف منه تعدد المذاهب، وتنوع المآخذ والمشارب، وأن لكل منهم وجهته، وأدلته التي يسـتند إلـيها، ويعـول عليها، وكلهم يغترف من بحر الشريعة، وما أوسعه. ومن أجل ذلك أكد علماؤنـا فيما أكدوه، وجوب العلم باختلاف الفقهاء، حتى قالوا: من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشـم أنفه رائحة الفقه(28). وفي جدال أهل الكتاب نوه القرآن بهذا الضابط للحوار. قال تعالى: **{ ولَـا تُجادِلُوا أَهلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِي أَحسن إِلَّا الَّذِين ظَلَموا مِنْهم وقُولُوا آمنا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَينَا وأُنزِلَ إِلَيكُم وإِلَهنَا وإِلَهكُم واحِد ونَحن لَه مسلِمون }**(العنكبوت : 46). فالآية ذكرت في جدالهم أمرين :

الأول: أن يكون بالتي هي أحسن.

الثاني: التذكير بنقاط الاتفاق التي من شأنها أن تُجمع ولا تفرق.

5- الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة :

إن من ضوابط الحوار الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة، والتي قد يكون مرجعها أنهـا عقلـية بحـتة لا تقـبل النقاش عند العقلاء المتجردين كحسن الخلق، وقبح الكذب، وشكر المحسـن، ومعاقبة المذنب، أو تكون مسلمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك وبالوقوف على الثوابت والمسلمات والانطلاق منهـا يتحـدد مريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجـدل والسفسـطة ؛ لأن الإصرار على إنكار المسلمات مكابرة قبيحة، ومماراة منحرفة عن أصول المحاورة السليمة، وليست من شأن طالبي الحق .

---

(27) انظـر: الصـحوة الإسـلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. القرضاوي- مؤسسة الرسالة- ط الثالثة، 1414هـ- 1993م - ص99.

(28) انظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. القرضاوي- ص71-72.

وفي الإسلام قضايا دينية مسلم بها لا تقبل النقاش مع المسلم مثل الإيمان بربوبية ا تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته وتنزيهه عن صفات النقص واتصافه بصفات الكمال، ونبوة محمد ﷺ، والقـرآن الكـريم كلام ا تعالى، وحجاب المرأة، وحرمة الربا والخمر، وحرمة الزنا، كل هذه قضـايا مقطـوع بها لدى المسلمين، وإثباتها شرعاً أمر مفروغ منـه، ولذلك لا يجوز أن تكون محل حوار أو نقاش مع مؤمن بالإسلام لأنها محسومة . فمثلاً الحكم بما أنزل ا منصوص عليه بقوله تعالى : **{ فَـلا وربك لا يؤْمِنُون حتى يحكموك فِيما شَجر بينَهم }**(النساء : 65)، **{ ومن لَم يحكُـم بِمـا أَنْزلَ الله فَأُولَئِك هم الْكَافِرون }**(المائدة : 44)، كما أن حجاب المرأة محسوم بجملة نصـوص منـها : **{ يـا أَيهـا النبِـي قُلْ لِأَزواجِك وبنَاتِك ونِساءِ الْمؤْمِنِين يدنِين علَيهِن مِن جلابِيبِهِن}**(الأحزاب : 59) .

وقـد يسوغ النقاش في فرعيات الحجاب كمسألة كشف الوجه فهي محل اجتهاد وأما أصل الحجاب فليس كذلك، ومن هنا فلا يمكن لمسلم أن يقف على مائدة حوار مع ملحد أو شيوعي في مـثل هذه القضايا، لأن النقاش معه لا يبدأ من هنا، لأن هذه قضايا غير مسلمة عنده، ولكن يكون الـنقاش معـه فـي أصـل الديانـة كربوبية ا تعالى وألوهيته ونبوة محمد ﷺ وصدق القرآن وإعجازه[29] .

6- التسلح بالدليل الناصع والبرهان الساطع :

إن أقوى ما يتسلح به المحاور الناجح هو البرهان والمنطق السليم، والذي من شأنه أن يلقم المكابر أو المعاند الحجة ويجعله لا يستطيع أن يمضي في جداله. وهذا هو منهج القرآن الكريم **{ قُـلْ هـاتُوا بـرهانَكُم إِن كُنْـتُم صـادِقِين }**(النمل : 64)، **{ قُـلْ هلْ عِنْدكُم مِن عِلْمٍ فَتُخْرِجوه لَنَا}**(الأنعام : 148).

"والعقـلاء دائمـاً عندما تتضح لهم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صـحة المسـألة يقتـنعون بذلـك، ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء والمغرورون، فإنهم يصـرون علـى باطلهم ويجحدون الحق عن علم به، لسوء نواياهم، وضعف عقولهم، وانطماس بصائرهم"[30] .

7- حسن الفهم :

---

(29) انظر :أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد ا بن حميد، موقع : صيد الفوائد http://saaid.net/pfv.php

(30) أدب الحوار في الإسلام - د. محمد سيد طنطاوي- ص27.

لعـل الآفـة التـي ابتلي بها كثير من طلبة العلم تكمن في الفهم، فكم من طالب يجيد حفظ النصوص، وآفته في فهمها، لذلك كان الفهم مقدماً على الحفظ، وتسلح المحاورين بالفهم الصحيح يختصر الطريق ويقرب المسافات.

ومن الأمور التي ينبغي على المحاور أن يفهمها التمييز بين القطعي والظني من النصوص فإذا كانت النصوص الظنية محلاً للاجتهاد والنقاش، فالقطعية ليست كذلك. وكذلك ينبغي التفريق بيـن القول وقائله، فقد يكون القول كفراً وقائله ليس كافراً كما هو مقرر في كتب الأصول. كذلك ينبغي التفريق بين الهدف الثابت والوسيلة المتغيرة، وبين المحكم والمتشابه.

8- البعد عن التعميم :

إن التعصب الأعمى، والغلو البعيد عن الإنصاف، يدفعان بعض الناس إلى إصدار الأحكام العامـة المطلقة على الخصم دون تمييز بين حالة وحالة أو شخص وآخر، وهذا نوع من الظلم، وعـدم الشعور بمسئولية الكلمة، فقد يكون من ينتسبون للرأي الآخر على صواب وعلى صلاح، فيجـب الـتفريـق بيـن الحالات وعدم أخذ الكل بخطأ البعض حيث قال ا تعالى : **{ ولا تَزِر وازرةٌ وزر أُخْرى }**(الإسراء : 15) .

إن التأنـي فـي إطـلاق الأحكـام نتيجة منطقية للعلم الصحيح، والتقوى التي تعمر قلوب الصـالحين، وإلا فـإن تصـنيف الناس بأحكام بلا تثبت دليل القصور العلمي والتعصب الأعمى وفساد الطوية .

9- تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية :

وممـا يقرب المسافة بين المتحاورين بل من أسس الحوار الناجح: تجنب القطع في المسائل الاجتهادية، التي تحتمل وجهين أو رأيين أو أكثر، وكذلك تجنب الإنكار فيها على الآخرين. ولهذا قرر علماؤنا: أنه لا إنكار من أحد على أحد في المسائل الاجتهادية، فالمجتهد لا ينكر على مجتهد مـثله، والمقلـد لا يـنكر على مقلد مثله كذلك. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد: فهل ينكر عليه أم يهجر؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين؟

فأجـاب : " الحمد : مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر لـه رجحان أحد القولين عمل به وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين،

وا أعلم "[31].

10- تحديد المواقع أو الهويات :

مطلـوب أن يحـدد كـل من الطرفين المتحاورين أين هو؟ وما هو؟ فلا يسوغ في منطق العقلاء أن يجادل في الفروع من لا يؤمن بالأصول، أو تُقنع بالشريعة، من ينكر العقيدة. فلا يعقل أن يحـاور في فرضية الزكاة أو تحريم الربا أو الخمر أو الميسر أو الزنا أو إقامة الحدود، ملحد مـادي يعتقد أن"ا "خرافة وان الأديان أفيون الشعوب. كذلك الذي لا يؤمن بأن محمداً رسول ا وأن القرآن كلام ا ، لا يجوز الحوار معه في تطبيق الشريعة، لأنه لا يؤمن بالشريعة أصلاً، ولا بصاحب الشريعة ولا بكتاب الشريعة.

فالصنف الأول لابد أن يبدأ الحوار معه أولاً في إثبات وجود ا ، والصنف الثاني في إثبات نـبوة محمد، وإلهية القرآن. وهكذا لكي يكون الحوار على بصيرة ويحقق نتائجه وثماره المرجوة فالأصـل الاتفـاق علـى الكليات قبل الحوار في الجزئيات، والاتفاق على الأصول قبل مناقشة الفروع، والبدء بالمتون قبل الشروع بالحواشي[32].

11- تحدد المعايير والاتفاق على أصل يرجع إليه :

يجـب الاتفـاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وجد الخلاف، واحتدم النقاش، وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم، وإلى صحيح السنة، وإلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح -رضي ا عنهم-، المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعا عند الخلاف.

ونعني بالمعايير: الموازين التي يحتكم إليها الفريقان، عند الخلاف، فإذا لم يكن هناك معيار يرضـاه الطرفان، ظل الخلاف قائماً ولم يحسم، بل لم يقبل الحسم، لأن كل طرف يدعى أن معه الحـق، الذي لا يشوبه الباطل، والصواب، الذي لا يتطرق إليه الخطأ. قد يقال: إن هناك معايير إنسـانية عامـة، يـرجع إليها الناس في كل زمان ومكان، مثل: العقل، والعلم والمصلحة. وهذه المعايـير جيدة لا يرفضها أحد وذلك حينما يكون العقل عقلاً صرفاً، لا يشوبه ظن ولا خرص، وينطلق من مقدمات يقينية، ليصل إلى نتائج يقينية. وحينما يكون العلم علماً محققاً ثابتاً، لا مجرد

(31) مجمـوع الفـتاوى - شـيخ الإسلام أحمد ابن تيمية- دار إحياء الكتب العربية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم - 207/20 .

(32) انظـر: الإسـلام والعلمانية وجهاً لوجه - د. القرضاوي- بتصرف شديد، دار الصحوة – ط 2 - 1414هـ- 1994م - ص19-26.

افتراضـات أو نظريات تخمينية، يناقض بعضها بعضاً كما في كثير من حصاد"العلوم الإنسانية". وحينما تكون المصلحة مصلحة حقيقية لا موهومة، مصلحة تُراعى الجوانب الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية.

ولكـن هناك حاجة ماسة، إلى نور آخر، بجوار نور العقل، يسدده ويرشده، فيكون له نوراً علـى نـور، وذلـك الـنور هـو"الوحـي الإلهـي"، كما بين ذلك الإمام محمد عبده في"رسالة التوحـيد"الوحـي، الـذي لا يلغي دور العقل، ولكن يأخذ بيده، في المتاهات، ويهديه في مفارق الطـرق، ومواضـع الالتباس، التي يكثر فيها الخلط، أو يحكم فيها الظن، أو يغلب فيها الهوى، والتخبط، بحكم الضعف البشري(33).

ولابـد أن يـراعى فـي الحوار إذا كان بين مؤمنين وملحدين أن يكون المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها. وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايـير، وأضيف إليه أيضاً المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين. وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد في الإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون(34).

12- التزام طرق الإقناع الصحيحة :

إن المطلوب في الحوار التزام طرق الإقناع السليمة، ويترتب على ذلك :

1- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة .

2- إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية .

وهـذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء "أدب الحوار والمناظرة" إذ يقولون : "إذا كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل" .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى مضمون هذه القاعدة في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الـنمل : **{ أَمـن يبدأُ الخَلْقَ ثُم يعيده ومن يرزقُكُم من السماءِ والأرض أَإله مع اللهِ قُلْ هاتـُوا بـرهانَكُم إن كُنْتُم صادِقين }**(النمل : 64)، وفي سورة الأنبياء : **{ أَمِ اتخَذُوا من دونِهِ آلِهةً قُلْ هـاتُوا بـرهانَكُم هـذَا ذِكْـر مـن معِـي وذِكْـر مـن قبلِـي بلْ أَكْثَرهم لا يعلمون الحق فَهم معرضون}**(الأنبياء : 24).

ففـي هاتين الآيتين يأمر ا رسوله محمداً ﷺ بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدعون، ويشمل البرهان في مثل هذا الادعاء البرهان العقلي والبرهان النقلي من رسول من رسل

---

(33) انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه - د. القرضاوي - ص77-78.

(34) مجادلة جادة لا مراهنة - د. جعفر شيخ إدريس - مجلة البيان - العدد 190 - ص45.

ا ، وآية الأنبياء تشير إلى مطالبتهم بالبرهان النقلي، وأما آية النمل فتطالب بتقديم البرهان بشكل عام، عقلياً كان أو نقلياً[35] .

13- سلامة كلام المحاور ودليله من التناقض :

وتعني هذه القاعدة ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض واضح، أو أن يكـون بعض كلامه ينقض بعضه الآخر، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً وفكرته لاغية، ذلـك أن التناقض في الأفكار يجعل المحاور صيداً سهلاً لغريمه ومحاوره، بحيث يدينه من خلال طروحاته المتناقضة وأفكاره المتباينة دونما حاجة إلى عناء ومشقة .

ومـن أمثلة ذلك قول الكافرين حينمـا كانـوا يرون الآيات الباهرات تنزل على رسول ا ﷺ يقولـون : (سحر مستمر) قـال تعالى في سورة القمر : **{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ{1} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{2}**(القمر : 1-2)، ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق رداً وذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون ألا يكون مستمراً، ومن شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء الواحد سحراً ومستمراً معاً فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لا يجتمعان .

ونظـير ذلك أيضاً قول فرعون عن موسى عليه السلام إذ جاءه بسلطان مبين من الحجج الدامغات والآيات الباهرات (ساحر أو مجنون) قال تعالى : **{ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِيـنٍ{38} فَـتَوَلَّى بِرُكْـنِهِ وَقَـالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ{39}**(الذاريات : 38-39)، وهذان أمران متضـادان، ومـن غير المقبول منطقياً أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات الواحدة متردداً بين كونـه سـاحراً وكونـه مجنوناً، وذلك لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الذكاء والدهاء، وهذا يتـنافى مـع الجنون تنافياً كلياً، فكيف صح في فكر فرعون هذا التردد، إن في كلامه هذا تهافتاً ظاهـراً يسـقطه مـن الاعتبار لدى المجادلة، فهو لا يستحق عليه جواباً وهو يشعر بأن فرعون يتهرب من منطق الحق[36] .

14- تحديد الآليات : آليات الحوار أو إجراءاته هي الضمان لوصول الحوار إلى مسعاه النهائي، وتشتمل الإجراءات على ما يلي :

أ- الدقـة في فهم مصادر المعرفة والتعامل معها لضمان صحة المعلومات المعروضة للحوار:

---

(35) انظر : ضوابط المعرفة - الميداني- ط2 - 1401هـ-1981م - دار القلم - بيروت - ص 375 -376 .

(36) انظـر : مناهج الجـدل للألمعـي - ص 435-436، وضوابط المعرفة - للميداني - ص 378 .

فالحوار المبني على معلومات مشكوك فيها لا فائدة منه، ولا يمكن أن يستمر[37] .

ب- ضـرورة مناقشـة القضـايا دون قرار مسبق أو أحكام ثابتة أو مواقف صارمة والاستعداد بتغيير القناعات الفكرية، وتبني أي قرار تثبت الوقائع أو المنطق صحته أو سلامته.

ج- اسـتخدام المـناهج العلمـية فـي المنطق أثناء الحوار: إن استخدام مناهج العلم في التفكير والتحليل والاستنباط يجعل الحوار عقلانياً ورشيداً وواضحاً مؤدياً إلى نتائج بينة .

د- ترتيب الحوار خطوة خطوة وبناء حقائق من الجزئيات المتفق عليها في الحوار: إن التوصل إلـى حقـائق جزئية، أو مبادئ متفق عليها يمهد الطريق لمواصلة الحوار نحو آفاق أخرى، وأي خطـوة يجـري الاتفاق بشأنها تعد مكتسباً من مكاسب الحوار الذي جرى التخطيط له بعناية[38] .

15- مناقشة الأصل قبل الفرع :

ينبغـي ألا يـتم التـناقش في الفرع قبل الاتفاق على الأصل؛ إذ إن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه، تعتبر نوعا من الجدل العقيم إلا في حالات معينة.

وأضرب أمثلة لحالات يمكن فيها مناقشة الفرع، أو مناقشة الأصل:

فلـو جاءك كافر لا يؤمن بيوم الحساب، وأخذ يناقشك في قضية حجاب المرأة المسلمة – مثلاً -، أو فـي قضـية تعدد الزوجات، أو في مسألة الجهاد؛ حيث إن هذه القضايا بالذات هي أكثر القضايا التي يثير حولها الغربيون شبهاتهم؛ لإثارة الفتنة بين المسلمين.

المهـم هو كيف تحاور هذا الكافر الذي لا يؤمن بالإسلام؟ هل تناقشه في هذه المسائل إذا حاورك بشأنها؟

بإمكانك هنا أن تحاوره بإحدى طريقتين:

الأولى: أن تحيل إلى الأصل، فتقول له: إن الجهاد وتعدد الزوجات والحجاب وما على شاكلة هذه القضايا؛ جزء من دين الإسلام، وبدلاً من أن نناقش هذه النقاط ينبغي أن نرجع للأصل، وهـو الإسـلام، فنتجادل فيه، فإذا اقتنعت بالإسلام، فحينئذ - من باب أولى- أن تقتنع بهـذه الأمور، ولا حاجة أن نتجادل فيها، وإذا لم تقتنع بالإسلام، فنقاشي معك في هذه

---

(37) نحو منهج في الحوار والتخاطب - موقع الوحدة الإسلامية - 2004 .
http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=915

(38) أدب الحـوار - محمد حافظ سليمان - مجلة الأزهر - الجزء الخامس - السنة السابعة والستون - مجمع البحوث الإسلامية - 1415هـ – 1994م - ص 592-596.

الجزئية يعتبر نوعا من العبث الذي لا طائل تحته.

الثانية: يمكنك أن تناقشه بالحجج المنطقية، في نفس الجزئيات التي يجادل حولها.

فمثلاً: إذا تكلم عن تعدد الزوجات، فيمكن أن تجادله في هذا الموضوع بأن تخبره أنه من الثابـت علمـياً أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، وفي (أمريكا) نفسها تصل -أحيانًا- نسبة النساء إلى الرجال مائة وتسعة عشر إلى مائة، وأحيانًا مائة وستين إلى مائة؛ فستون امرأة زيادة على المائة، لمن تكون؟!

فإذا لم نأذن للرجال بتعدد الزوجات، فذلك يعني أن هؤلاء النساء بقين ضائعات بلا أزواج، أو اضـطررن إلى ممارسة البغاء والرذيلة، فتعدد الزوجات ضرورة لابد منها؛ لأن نسبة الإناث في أكثر المجتمعات أكثر من نسبة الرجال.

وهكـذا، عـندما تثبت لهذا الكافر حالات وأوضاعا يكون تعدد الزوجات فيها أمرا سائغًا؛ فربما آمن بالإسلام من خلال اقتناعه بهذه الحجج.

وقـد بسـط القـول في الرد على هذه الشبهات الأستاذ محمد قطب في كتابه "شبهات حول الإسلام" بما لا يدع حاجة إلى أن نطيل فيه الآن.

16- الرضـا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون، والالتزام الجاد بها، وبما يترتب عليها :

لا بد وأن يكون في نهاية الحوار والمناظرة نتائج توصل إليها المتحاوران، والواجب الرضا والقـبول بالنـتائج، والالتزام الجاد بها، وما يترتب عليها، وإذا لم يتحقق هذا الأصل كان الحوار ضـرباً مـن العبث الذي يتنزه عنه العقلاء . قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه ا : "فينبغي لمن لزمته الحجة، ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصير إلى موجباتها، لأن المقصود مـن الـنظر والجدل طلب الحق واتباع تكاليف الشرع، قال ا تعالى : **{ الذِين يستَمِعون القَولَ فَيتبِعون أَحسنَه أُولَئِك الذِين هداهم الله وأُولَئِك هم أُولُو الألبابِ }**(الزمر : 18)[39] .

لقـد تحقـق هذا المنهج مع السلف الصالح في مناظراتهم وهذا الإمام الشافعي يضرب لنا أروع الأمـثلة فـي ذلك حيث يقول : "ما ناظرت أحداً قط وأحببت أن يخطئ بل أن يوفق ويسدد ويعـان، ويكـون عليه من ا رعاية وحفظ، وما كلمت أحداً قط، وأنا أبالي أن يظهر الحق على

---

(39) انظر : منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد - الدكتور عثمان علي حسن - 751/2 .

لسـاني أو لسـانه"[40]، وقال أيضـاً : "ما ناظـرت أحـداً إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً على الغلبة إلا على الحق عندي"[41] .

17- التجرد، وقصد الحق، والبعد عن التعصب، والالتزام بآداب الحوار :

إن إتـباع الحـق، والسـعي للوصول إليه، والحرص على الالتزام ؛ وهو الذي يقود الحوار إلى طـريق مسـتقيم لا عوج فيه ولا التواء، أو هوى الجمهور، أو الأتْباع .. والعاقل – فضلاً عن المسلم – الصادق طالب حق، باحثٌ عن الحقيقة، ينشد الصواب ويتجنب الخطأ .

يقـول الغزالي أبو حامد : " التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات ؛ مـنها أن يكـون في طلب الحق كناشد ضالّة، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه . ويرى رفيقه معيناً لا خصماً . ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهره له "[42] .

ومـن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة : " ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يوفّق ويسدد ويعـان، وتكـون عليه رعاية الله وحفظه . وما ناظرني فباليتُ ! أَظَهرتِ الحجةُ على لسانه أو لساني "[43] .

وفي ذم التعصب ولو كان للحق، يقول الغزالي :

" إن التعصـب من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحقّ، وينظرون إلى المخالفين بعيـن الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم علـى طلـب نُصـرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه . ولو جاؤوا من جانب اللطـف والـرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتْباع مثلُ التعصب واللعن والتّهم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم "[44] .

والمقصـود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئاً من التعصب خالصاً لطلب الحق، خالياً من العـنف والانفعـال، بعـيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانية، مما يفسد القلوب، ويهيج

---

(40) صفوة الصفوة - عبد الرحمن أبو الفرج - ط 2 - 1399هـ - دار المعرفة - بيروت - 251/2 ، وفيض القديـر - عبد الرحمن المناوي - ط 1 - 1356هـ - المكتبة التجارية - مصر - 3/ 90

(41) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ط التاسعة سنة 1413هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - 29/10 .

(42) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار االمعرفة – بيروت – 1 / 42 .

(43) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي – 1 / 26.

(44) المصدر السابق : 1 / 40 .

النفوس، ويولد النفرة، ويوغر الصدور، وينتهي إلى القطيعة .

وهذا الموضوع سوف يزداد بسطاً حين الحديث عن آداب الحوار إن شاء ا .

المبحث الرابع

آداب الحوار وأخلاقياته

اهـتم الإسـلام بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الإسلام يرى بأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطـبعها وفطـرتها إلـى الحوار، أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان : **{ وكـان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً }**(الكهف : 54)، بل إن صفة الحوار، أو الجدال لدى الإنسان في نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب كما يخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى: **{ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها }**(النحل : 111).

وإذا كـان الحـوار مـن الوسائل الحضارية للوصول إلى الحق ، فلا يعني ذلك أن يختار المحـاورون الوسـيلة التي يراها كل واحد أنها مناسبة ، بل هناك جملة من الآداب والأخلاقيات لضـبط الحـوارات والمناظرات وهي من المبادئ السامية والهدايات الرفيعة التي ساقها الإسلام ويحترمها العقل البشري، ويرى أنها ضرورية لضبط الحركة الحوارية.

ولمـا كان الحوار يقع دائماً عند الاختلاف في الآراء والمغايرة في المناهج، كان لا بد من التسـلح بـالأدب، الـذي هو"ما يحمد قولاً و فعلاً"[45] وإلا فسوف تنحرف العملية الحوارية عن مسارها الصحيح لتتحول إلى جدل وشقاق ومعركة كلامية ضارة، وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية أدب الحوار أهمية بالغة، فمن نصوص القرآن قوله تعالى :**{ وقولوا للناس حسناً }**(البقرة : 83)، وقو ـله تعالى : **{ وجادلهم بالتي هي أحسن}**(النحل : 125)، وقوله تعالى: **{وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن}**(الاسراء: 53).

وفـي السـنة الشريفة قوله ﷺ:" يسروا ولا تُعسروا وبشروا ولا تُنفروا "[46] وقوله : " اتقُوا الـنار ولـو بِشِـق تمـرةٍ فإن لم تجد فبكلمةٍ طيبةٍ "[47]، وقوله ﷺ : " تبسمك في وجهِ أخيك لك صدقة"[48].

---

(45) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري- 400/10 – ط - دار الفكر.

(46) رواه البخاري - 1/ 38 – حديث رقم 69 .

(47) رواه البخاري – 3 / 1316 – حديث رقم – 3400.

(48) أخرجه الترمذي - دار إحياء التراث العربي – بيروت - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون - 4/ 299 - حديث رقم 1956 وقال : حسن غريب، قال الشيخ الألباني : صحيح .

وعليه فإن على من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامة بآداب الحوار وأخلاقياته(49) ومنها :

أولاً: الصدق والإخلاص :

ينبغي للمحاور أن يدخل العملية الحوارية وهو متأكد أولاً: من أن نيته عز وجل، وهذا شرط الفلاح والنجاح ، لذا ينبغي أن يحذر من الرياء أو الحرص على ثناء الناس وإعجابهم به، كأن يقال : " فلان بارع أو مثقف، فهذا محبط للعمل ". فقد روي أن أحد الأبناء قال لأبيه يا أبت أراك تنهانا عن المناظرة وقد كنت تناظر فقال له أبوه: يا بني كنا نتناظر وكأن على رأس أحدنا الطير مخافة أن يزل صاحبه وأنتم تتناظرون وكأن على رأس أحدكم الطير مخافة أن يزل هو فيغلبه صاحبه(50).

ولقد ساق الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " جملة من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتناظران في مسألة معينة، فقال :" السادس: أن يكون - أي المتحاوران – في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ، وأظهر له الحق... فهكذا كانت مشاورات الصحابة، حتى أن امرأة ردت على عمر ﷺ: ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس، فقال : " أصابت امرأة وأخطأ عمر "(51).

وسأل رجل علياً ﷺ فأجابه فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال: أصبتَ وأخطأتُ " وفوق كل ذي علم عليم ". ثم قال الإمام الغزالي - رحمه ا - : " وهكذا يكون إنصاف طالب الحق!!، ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده... فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجاهدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره، ثم لا يستحي من تشبيه نفسه

---

(49) انظر هذه الآداب في : أدب الحوار – د. محمد بخيت – كتاب مؤتمر مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر – 1 / 59 وما بعدها، والحوار :أصوله وضوابطه وأثره على الدعوة الإسلامية – أ. يوسف علي فرحات - كتاب مؤتمر مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر – 1 / 173 وما بعدها .

(50) في أصول الحوار - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط4 - 1416هـ - 1995م - ص37.

(51) وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره 467/1- ط عيسى الحلبي- في تفسير سورة النساء ونسبها إلى أبي يعلى في مسنده وقال إسنادها جيد قوي إلا أن الرواية التي ذكرها قول عمر "كل الناس أفقه من عمر".

بالصحابة في تعاونهم على النظر في الحق "[52].

هكذا كلام الغزالي رحمه ا الذي توفي عام 505هـ في بعض المتناظرين من أهله زمانه، فمـاذا يقـول لو أدرك زماننا هذا من قوم إذا حاوروا لم يكن لهم هم إلا التباهي والتفاخر ورمي خصمهم بأقبح الكلام!!

ثانياً : التأدب في القول :

يعتبر القول أداة التعبير عن التفكير، ومطلوب من المحاور أن يكون مهذباً في ألفاظه ؛ لأن الكلمـة الطيبة المهذبة تفتح مغاليق العقول والقلوب، وتظهر حسن نية المحاور، كما أن بذاءة اللسان أو التجريح يفسدان جور الحوار، فعلى المحاور أن يبتعد عن كل طعن أو هزء أو سخرية أو اسـتهزاء أو احـتقار لوجهـة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره وقد أرشد القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذا الخلق حيث قـال ا تعالى : **{ وجادِلْهم بِالتِي هِي أَحسن}**(النحل: 125)، وقـال : **{ ولا تُجـادِلُوا أَهلَ الكِتَابِ إِلا بِالتِي هِي أَحسن }**(سورة : 125)، وقال تعالى : **{ وقُولُـوا لِلـناس حسـناً }**(البقرة : 83)، بل نهى عن سب الذيـن يدعـون من دون ا فقال تعـالى: **{ ولا تَسبوا الذِين يدعون مِن دون اللهِ فَيسبوا الله عدواً بِغَير عِلْمٍ }**(الأنعام : 108)، كمـا نـبه النبي ﷺ إلى هذا الأدب فقال : " **ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء** "[53].

ثالثاً : التأدب في الجلوس :

إن مـن أدب الحوار أن يتماثل المتحاوران في المجلس فلا يكون أحدهما أعلى من الآخر، وأن يتقابلا، ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن، ويقبل على خصمه الذي يكلمه بوجهه، فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه، فإن لم يقبل قطع حواره ومناظرته معه، لأنه ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتنقطع عليه مادة الفهم والخاطر[54] .

قـال أبـو الوليد الباجي رحمه ا " ويتوقر في جلوسه،ولا ينزعج من مكانه فينتسب إلى الحـركة ولا يعبث بيده ولحيته، فإن ذلك يذهب بالوقار ويقبل على خصمه فإنه أحسن في الأدب، ويحسـن الاستماع إلى كلامه فإنه ربما بان له في كلامه، ما دله على فساده فيكون له عوناً على

---

(52) حجة الإسلام: أبو حامد الغزالي- إحياء علوم الدين 45/1- دار إحياء الكتب العربية.

(53) رواه أحمد في المسند – 1 / 404 – حديث 3839، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

(54) انظر : منهج الجدل والحوار 747/2 .

نظره ". [55]

رابعاً : خفض الصوت :

يحسـن بالمحـاور ألا يـرفع الصـوت أكثر مما يحتاج إليه السامع فذلك رعونة وإيذاء، والمحـاور غـير الخطيب الذي تقتضيه بعض مواضع خطابته أن يرفع صوته ورفع الصوت لا يقـوي حجـة صـاحبه قط، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون. ضـعيف الحجـة، يسـتر عجزه بالصراخ على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية.

وانظر إلى البحر: تجد الصخب والضجيج على الشاطئ عند الصخور حيث الماء ضحل لا جواهـر فـيه ولا درر: وتجـد الهـدوء لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه: والمثل الإنجليزي يقول: الماء العميق أهدأ.

ولـيس معنى ذلك أن تخفض الصوت لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث وإنما خـير الأمور الوسط كما يقولون. وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم.

وكذلـك مـن الأفضل ألا تجعل درجات صوتك على وتيرة واحدة لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين ولكن يلزم أن تخفض الصوت وترفعه انفعالات مع الحديث فإن لقوة الصوت وخفضه دخلاً في تجديد الانتباه.

وحتى تتم الفائدة عليك ألا تسرد الكلام سرداً بل تجزئه وترتبه وتتمهل فيه ليفكر فيه سامعه روى أن كـلام رسـول ا ﷺ كان فصلاً يفهمه من سمعه وأنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه[56][57].

خامساً : التواضع واحترام الآخر:

التواضـع خلق كريم، يزيد صاحبه رفعة وعزاً، ويحببه إلى قلوب الآخرين، إذ من تواضع رفعه، ومن تكبر عليه أو على عباده أذله ووضعه، لأن الكبرياء من أخص صفات ا سبحانه وتعـالى، وقد جاء في الحديث " **الْكِبرِياء رِدائِي والْعظَمةُ إِزارِي فَمن نَازعنِي واحِدا مِنْهما قَذَفْتُه**

(55) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد : عثمان علي حسن، ص746

(56) رواه البخاري – 1 / 48 – حديث رقم 95 .

(57) في أصول الحوار- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- ص97.

فِي النار " [58] وقد فسر النبي ﷺ الكبر بأنه " **من بطر الحق وغمط الناس**" [59]. لذلك فإن الحوار أو النقاش الذي يدور بين الناس إذا كان يقوم على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف، وعلى الأسلوب المهذب الخالي من كل مالا يليق، فإن نتائجه تكون طيبة وآثاره حميدة...، أما الحوار أو النقاش الذي يكون مبعثه الغرور والتعالي والتفاخر والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى حق أو حقيقة.

والمحاور المتواضع يحمله تواضعه على احترام الآخر مسلماً كان أم كافراً، فالإسلام يأمرنا أن ننزل الناس منازلهم "فإذا كان الحوار مع شخص مهم أو كبير في السن أو يحتل منصباً مهماً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، ينبغي أن نحفظ له حرمة المنزلة التي يحتلها حتى لو كان مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً ونختار الألفاظ المناسبة لمكانته ونجامله بالحق ونثني عليه على ما فيه من جوانب إيجابية، وهذا كله لا ينافي عزة المؤمن ولا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمهم في ذلك ألا نقع في الملق الرخيص ، أو النفاق المرذول، أو الكذب في إضفاء صفات لا يستحقها المخاطب"[60].

"ومن الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، والمعلومات الجيدة التي يوردها الطرف الآخر، ويسلم بها وربما يقتبس المحاور من كلام صاحبه في وقت لاحق عبارة جيدة تفوه بها في وقت سابق وهذا يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائه، ويذهب بروح التحفز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات وتضفي على المحاور صفة الموضوعية[61].

"والإفساح للرأي الآخر، وعدم تخطئته مقدماً، مصدره رسوخ القدم في العلم، وإدراك تعدد وجوه الحقيقة وتعدد الطرق إليها... ومصدره كذلك تواضع النفس والعقل والتسليم بأن كل صاحب رأي بشر يخطئ ويصيب ومصدره فوق ذلك - الحرص على الحقيقة - والأمانة في السعي إليها..."[62].

---

(58) أخرجه أبو داود – 2 / 456 – حديث رقم 4090، قال الشيخ الألباني :صحيح .

(59) أخرجه أبو داود - 2 / 457 - حديث رقم 4092، قال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد .

(60) في أصول الحوار - الندوة العالمية للشباب الإسلامي- ص67.

(61) المصدر السابق : ص69.

(62) أدب الحوار – د. أحمد كمال أبو المجد – مجلة المسلم المعاصر – العدد الثالث - ص93.

سادساً : الرفق واللين :

إن تحـدي الآخريـن وإفحـامهم ولو كان بالحجة والبينة يثير البغضاء ويولد الضغينة في الـنفوس، ولاسيما إذا كان ذلك أمام ملأ من الناس. ولما كان الحوار لكسب العقول والقلوب معاً ينبغـي علـى المحـاور أن يتخلق بالرفق واللين فضلاً عن البرهان المبين ، فإن ذلك أوقع في القلـوب، لذلك ينبغي على المحاور أن يبتعد عن أسلوب التحدي لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقـف، " ولهذا تعتبر المعاملة الحسنة من الأساليب الاقناعية الناجحة لما لها من أثر جيد في ليـن الطـرف الآخر وإقناعه، فهي تدخل شغاف القلوب وترققها وتعمق المشاعر وترطب الفكر وترخي السمع، وتشد الانتباه "(63).

قـال تعـالى مخاطـبـاً نبيـيه الكريمين موسى وهـارون عليهما السلام في شـأن فرعـون : **{ فقُولا له قولاً ليناً لعله يتَذَكر أَو يخْشَى }**(طـه : 44).

قـال القرطبـي: " فـإذا كان موسى أُمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً فمن دونه أحرى بأن يقـتدي بذلـك فـي خطابه وأمره بالمعروف في كلامه "(64). وهكذا نرى أن ا سبحانه وتعالى يتحبب إلى عدوه فرعون ويطالب رسوليه هارون وموسى بمخاطبته بالقول اللين رجاء أن يتخلى عن كفره ويؤمن با ، وفي هذا يقول " يزيد الرقاشي " مناجياً ربه :

يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه(65)

سابعاً : الهدوء وضبط النفس وعدم الانفعال:

" وهـدوء الـنفس وضـبطها وعـدم انفعالها مهم جداً عند الحوار، لأنه يعطي قوة معنوية للمحـاور فـتجعله واثقـا بما يحمل من مبادئ وأفكار قادراً على طرح وعرض ما عنده بحجة وبـرهان، وأمـا الانفعـال والصياح فإنه علامة عجز وضعف في مواطن العقل ومقابلة الحجة بالحجة،فالعاجـز الـذي يفشل في عرض ما عنده يعوض فشله بالانفعال والصياح، خاصة أمام

---

(63) فـنون الحوار والاقناع - محمد ديماس – إصدار مركز التفكير الإبداعي- دار ابن الجوزي– ط1-1420هـ -1999م - ص85.

(64) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي - 181/11.

(65) القصص القرآني:عرض وقائع وتحليل أحداث – د. صلاح الخالدي - دار القلم- دمشق- 1419هـ - 1998م - 394/2.

جمهوره ومؤيديه "[66].

لذا حذر الإسلام من الغضب الذي هو من صور الانفعال وعدم الاتزان وصفة ذميمة تنفر الناس وتـبعدهم عن صاحبها، والمحاور الذي يغضب ويخرج عن طوره واتزانه، هو في حقيقة الأمر يساهم في نسف الحوار من حيث لا يدري. لذاك أرشد الإسلام في تسكين الغضب باتباع الآتي :

1- تغيير الحالة التي يكون عليها الغضبان. قال ﷺ : "**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع** "[67].

2- اللجوء إلى السكوت. قال ﷺ : " **وإذا غضب أحدكم فليسكتْ** " [68].

3- الـتعوذ بـا من الشيطان الرجيم. فعن معاذٍ قالَ استبّ رجلان عِنْدَ النبي ﷺ فغَضِبَ أحدهما فقالَ النبي ﷺ: "**إني لأعرف كلمةً لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد**)[69].

ثامناً : عدم السخرية :

إن مـن أخلاق الحوار تجنب السخرية أو الاستهزاء بالخصم، وكل ما يشعر بالاحتقار أو الازدراء، كوسم الخصم بالجهل أو قلة الفهم، أو التبسم والضحك والهمز واللمز[70] .

وقـد نهـى القرآن الكريم عن هـذا الخلـق في قوله تعالى : **{ يا أيها الذين آمنُوا لا يسـخَر قوم من قومٍ عسى أن يكونُوا خيراً منْهـم }**(الحجرات : 11). قال الإمام الشوكاني : " السـخرية : الاستهزاء، سخرت به وضحكت به وهزأت به ... ومعنى الآية : النهي للمؤمنين أن يستهزئ بعضهم ببعض "[71] .

ويقـول الأستاذ سيد قطب : " إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، وكل فرد فيه كرامته التي لا تمس وهي من كرامة المجموع، ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس ... والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بهذا النداء الحبيب : **{ يا أيها الذين آمنُوا}**

---

(66) أدب الحوار والخلاف في الشريعة الإسلامية - د. أحمد صمادي- مجلة دراسات - العدد(1) - ص 118.

(67) أخرجه أبو داود – 2 / 664 – حديث رقم 4782، قال الشيخ الألباني :صحيح .

(68) أخـرجه الإمـام الـبخاري في كتابه "الأدب المفرد"- ص 95 - رقم 245، قال الشيخ الألباني : صحيح.

(69) أخرجه مسلم – 4 / 2015 – حديث رقم – 2610.

(70) انظر : ضوابط المعرفة - ص 383 .

(71) فتح القدير - الإمام محمد الشوكاني - دار المعرفة - بيروت - 64/5 .

وينهاهـم أن يسخر قـوم بقـوم أي رجال برجال، فلعلهم خير منهم عند ا "[72] .

فطالـب الحق عليه أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز .

تاسعاً : الصبر على المخالف:

المحـاور الـناجح هو الذي يتسلح بالصبر وسعة الصدر، إذا خالفه الآخر بالرأي، والصبر يعني المرونة والإيجابية في التعامل والقدرة على استيعاب الرأي الآخر مهما بدا غريباً أو شاذاً.

فمن أهم آثار الصبر وسعة الصدر القدرة على منح الآخر فرصته في التعبير عن رأيه أو موقفـه بكـل حرية، كذلك كفالة حق الرد له بعيداً عن أية ممارسة قهرية أو مصادرة استبدادية "واكتسـاب هذه النفسية مشروط بداية بنزع دعاوى احتكار الحقيقة والحق، تلك الدعاوى التي إذا هيمنت على ذهنية أحد دفعته إلى رفض إمكانية أن يشارك الآخرون في امتلاك الحقيقة أو الحق أو بعض أطرافها"[73].

الحادي عاشراً : حسن الاستماع:

"إن المتحدث البارع هو المستمع البارع، الذي لا يقاطع من يحاوره، بل يشجعه على الحديث ويصغي إليه باهتمام،"إن كثيراً من الناس يخفقون في ترك أثر طيب في نفوس من يقابلونهم لأول مـرة لأنهـم، لا يصـغون إليهم باهتمام، إنهم يستمعون بنصف أذن، إنهم يحصرون همهم فيما سـيقولونه لمسـتمعهم، فإذا تكلم المستمع لم يلقوا له بالاً، علماً بأن أكثر الناس يفضلون المنصت الجيد على المتكلم الجيد"[74].

ولـنا فـي رسول ا ﷺ أسوة حسنة في محاورته مع عتبة بن ربيعة حين كان مبعوثاً من قـريش فقال له: "يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل منها. فقال الرسول ﷺ : " قل يـا أبا الوليد أسمع "، فقال له عتبة ما قال حتى إذا أفرغ قال له: "أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال:

---

(72) في ظلال القرآن، سيد قطب- ط 7 - سنة 1398هـ -1978م - دار الشروق - القاهرة - بيروت - 3344/6 .

(73) انظر: التربية الحوارية – د. علي القرشي– ص 102.

(74) فنون الحوار والإقناع - محمد ديماس- ص35.

نعم[75].

فانظـر كـيف أن الرسول ﷺ لم يحسن الإنصات إلى عتبة فحسب بل منحة فرصة أخرى لإضـافة ما يريد " أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ " إنه الأدب الرفيع الذي يتمتع به الحبيب المصطفى ﷺ مما دعا عتبة إلى الاستماع إلى رسول ا ﷺ والإصغاء إليه الأمر الذي أثر في نفسية عتبة.

يقـول ديل كارينجي في كتاب القيم:"كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس :" إذا كنت تريد أن يـنفض الـناس مـن حولك ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك الوصفة: لا تعط أحداً فرصة الحديث.. تكلم بغير انقطاع وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديـثه، فهـو ليس ذكياً مثلك.. فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف! اقتحم عليه الحديث، واعترض في منتصف كلامه "[76].

وقديماً قال الشاعر العربي:

من لي بإنسان إذا خـاصمتـه	وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من	أخلاقه، وسكرت مـن آدابه
وتراه يصغي للحديث بسمعـه	وبقلبه ولعلـه أدرى به!!

" إن الإنصات عظيم الفائدة، فهو يفتح لك نافذة لترى ما يدور في عقل الطرف الآخر، كما يجعـل الطـرف الآخر على استعداد للإنصات إليك. فلو أن الطرف الآخر كان غاضباً أو قلقاً. فلمـاذا لا تحـاول أن تسـتمع إلى شكواه. لا تقاطعه حتى لو شعرت أنه مخطئ، أو أنه يهينك. ويمكـنك أن تشعره بإصغائك إليه عن طريق تركيز نظرك عليه، أو هز رأسك من آن لآخر، أو تـرديد عبارات مثل "نعم- نعم" أو "أنا أفهم ما تقصده" وعندما ينتهي من حديثه.. اسأله بهدوء إن كـان لديه شيء آخر يريد أن يضيفه، وشجعه على أن يفضي إليك بكل ما يضايقه، بأن تقول له مثلاً: " من فضلك استمر في حديثك "، أو " وماذا حدث بعد ذلك؟ ". وبمجرد أن تنصت لما يريد الطرف الآخر أن يقوله، فغالباً ما سيؤدي ذلك إلى تهدئته، ليصبح أكثر تعقلاً وأكثر استجابة بشأن حـل المشكلة، واستصدار القرار المطلوب، فليس من قبيل الصدفة أن أفضل المتحاورين غالباً ما يستمعون أكثر مما يتكلمون "[77].

---

(75) السيرة النبوية - ابن كثير - تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة – بيروت – لبنان - 1402هـ - 1982م - 261/1.

(76) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس - ديل كارينجي- مكتبة مدبولي - 2002م - ص122.

(77) فنون الحوار والإقناع - محمد ديماس- ص39.

الثاني عشر : تجنب الإساءة إلى الخصم :

وهـذا يتمثل بترك مقاطعته، والصياح في وجهه، والحدة عليه، واستصغاره واحتقاره، لأن هـذا يؤثر في الحوار حيث يدفع الخصم للضجر والخروج عن المألوف، وهذا نشاهده كثيراً في الحـوارات السـاخنة وخاصة على شاشات التلفاز ومثال على ذلك برنامج الاتجاه المعاكس الذي تبـثه محطة الجزيرة الفضائية حيث نجد المحاور أحياناً يصيح ويضرب على الطاولة، وربما في نهايـة الحـوار مـد الخصم يده للمصافحة فدفعها الآخر رافضاً ذلك مسيئاً لنفسه قبل أن يسيء لخصمه .

فعلـى المحاور الماهر أن يتجنب هذه الأخطاء وخاصة استصغار الخصم لأن ذلك يعتبر إساءة، كما أنه يؤدي إلى عدم التحرز والاحتياط فيكون سبباً في ظهور خصمه عليه . قال الإمام ابن حزم رحمه ا : "ولا تحقرن أحداً حتى تعرف ما عنده فربما فجأك منه ما لم تحتسب"[78] .

وقـال عبد الرحمن الميداني : " ألا يظن خصمه حقيراً ضعيفاً قليل الشأن، فذلك يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه "[79] .

فعلـى المحاور أن يحرص ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة لأن ذلك رعونة وإيذاء للنفس وللغـير، كمـا أن رفع الصوت لا يقوي حجة ولا يجلب دليلاً ولا يقيم برهاناً، بل إنه يدل على ضـعف الحجـة وقلـة البضاعة، فيستر عجزه بالصراخ، ويواري ضعفه بالعويل، بل إن هدوء الصوت عنوان العقل والاتزان .

الثالث عشر : الحوار بالتي هي أحسن:

" مـن معالم المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة إلى ا : الجدال بالتي هي أحسن، والأصل فـي الجدال أن يكون مع المخالفين. ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية: أنه اكـتفى في الموعظة بأن تكون(حسنة) ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي(أحسن)، لأن الموعظة غالباً تكون مع الموافقين أما الجدال فيكون عادة مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتـي هـي أحسن. على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وجيدة وطـريقة أحسـن منها وأجود، كان المسلم الداعية مأموراً بأن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود.

وهـذا ما يشير إليه القرآن الكريم في جدال أهل الكتاب، حيث يقول تعالى : **{ ولا تُجادِلُوا**

(78) انظر : منهج الجدل والمناظرة - 770/2 .

(79) ضوابط المعرفة - الميداني - ص 382 .

أهـلَ الكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحسن إِلا الَّذِين ظَلَموا مِنْهم وقُولُوا آمنا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَينَا وأُنْزِلَ إِلَيكُم وإِلَهنَا وإِلَهكُم واحِد ونَحن لَه مسلِمون }(العنكبوت : 46)[80].

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة رائعة في حسن المجادلة مع المخالفين، ومن ذلك قوله تعالى :

{قُـلْ مـن يـرزقُكُم من السماواتِ والْأَرضِ قُلِ الله وإِنا أَو إِياكُم لَعلَى هدى أَو فِي ضلَالٍ مبِيـنٍ}(سـبأ : 24) ففي هذا الأسلوب الرقيق من تسكين الخصم وإرضاء غروره : ما يهيء نفسـه للاقتناع أو الاقتراب منه إلى حد كبير. فهو يقول: **{وإِنا أَو إِياكُم لَعلَى هدى أَو فِي ضلَالٍ مبِينٍ}**(سـبأ : 24)، يعني : أن أحد الفريقين منا على ضلال: نحن أو أنتم ولم يقل لهم: أنتم في ضلال مبين.

يقـول الزمخشـري في تفسيره معلقاً على الآية :" وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك "[81].

وقال الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور :" وهذا اللون من الكلام يسمى الكلام المنصف وهو ألا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدل ويسمى في علم المناظرة إرخـاء العنـان للمناظر ومع ذلـك فقرينة إلزامهم الحجـة قرينة واضحة "[82].

ومـن الحوار والجدال بالتي هي أحسن اختيار العبارات اللطيفة الرقيقة الرفيعة بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح، "حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجـدل، ولكن الاقتناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل علـى الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجـدل بالحسـنى هـو الـذي يطامـن مـن هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة،وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل ا ، لا فـي سـبيل ذاتـه ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر. ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعاتـه يشير النص القرآني إلى أن ا هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين.

---

(80) انظر: خطابنا الإعلامي في عصر العولمة - د. يوسف القرضاوي - دار الشروق، ط 1 - 1424هـ - 2004م - ص40-41.

(81) تفسـير الكشاف - أبو القاسم جار ا محمود بن عمر الزمخشري - دار المعرفة - بيروت - 3/ 259.

(82) تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور- دار سحنون للنشر والتوزيع - 192/11 .

فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذاك "[83].

"إن الكلمة العنيفة لا لزوم لها، ولا عزة تُجتنى من ورائها، إلا أنها تجرح المشاعر، وتغير مـودة القلـوب، وإن قـال شوقي: اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية. ولكن هذا إنما يكون في الاخـتلاف الملـتزم بـآداب الحوار وموضوعيته، والبعد عن الإثارة والتهييج، أما الحوار الذي يصـحبه العنف والاتهام والتشريح فالأغلب أنه يفسد الود، ويعكر صفاء الأنفس بل قد يخشى إذا ذهب الود أن لا يعود مرة أخرى، على نحو ما قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر!

إن حسـن اختـيار بعـض الجمل أو العبارات المناسبة في بعض الأحيان يحل مشكلات ويفض اشتباكات"[84].

ومـن الحوار الحسن: حسن البيان ببساطة العبارة بلفظ موجز، من غير إطالة ولا تكرار، حتى لا يخل بعض الكلام ببعض. وكم ضاع حق بسوء عبارة، وظهر باطل بحسن طلاوة. ومن البيان ألا يسرع المحاور بعرض أفكاره فيعجز الطرف الآخر عن ملاحقته وألا يبطء حتى لا يمل منه ويتركه.

ومـن البـيان: أن يعرف متى يتكلم،ومتى ينصت، ومتى يجيب، وأن يطرز كلامه بشواهد الشعر والنثر والحكايات بضرب الأمثال.

الرابع عشر : تجنب الاستئثار بالكلام :

يجـب على المحاور ألا يستأثر بالكلام لنفسه، ويحرم الطرف الآخر، وذلك بالإطالة التي تخـرج به عن حدود الذوق، فالاستئثار بالكلام كالاستئثار بالطعام وكلاهما منقصه بصاحبه. قال أحـد السلف:"إن ا خلق لي أذنين ولساناً واحداً كي أسمع أكثر مما أقول "[85]. ولعل الإطالة في الحديـث مـن جهة والاستئثار به من جهة أخرى مرده إلى إعجاب المرء بنفسه، وحب الشهرة والثناء فضلاً عن الاستخفاف بعلم و قدرة الطرف الآخر، وهذا كله من الأخلاق المذمومة.

الخامس عشر : تجنب الاستطراد :

الانحـراف عـن مسـار الموضوع الأصلي للحوار والتشعب إلى فرعيات لا علاقة لها بالموضـوع مـن آفـات كثـير من الحوارات والمناقشات ، كونها مضيعة للوقت وتبديد للجهد

---

(83) سيد قطب - في ظلال القرآن 6 / 2202 .

(84) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. القرضاوي - ص150.

(85) فنون الحوار والإقناع – محمد ديماس - ص57.

والطاقة، من شأنها أن تجعل المناقشة عقيمة وسطحية قليلة الفائدة لذلك على المحاور أن يحرص كل الحرص على التركيز في الحديث والنجاة من الاستطراد والشتات وأن يصل بالحديث إلى نتيجة واضحة ومحدودة.

السادس عشر : العدل والإنصاف :

لكي يكون الحوار مفيداً ومجدياً لا بد أن يتحلى المحاور بخلق العدل والإنصاف مع نفسه ومع خصمه، وهذا يؤدي إلى إيثار الموضوعية في نقاشه دون أن يخضع لتأثير هوى الذات أو الحزب أو الجماعة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلق في قوله تعالى : **{ وإذَا قُلْتُم فَاعدِلُوا ولو كان ذَا قُربى }**(الأنعام : 152)، وقال أيضاً : **{ ولا يجرمنكُم شنَآن قومٍ على ألا تَعدِلُوا اعدِلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى واتقُوا الله }**(المائدة : 8) .

وللعدل إمارات تظهر من خلال قبول الحق إذا ظهر على لسان الخصم وإن كان يخالف قناعة من قبله، وكذلك الاعتراف بالخطأ دون حاجز التعصب الذميم أو الهوى المتبع فإمارات العدل أن يتحرر المحاور من التعصب لهواه، ولذلك كان وصف المؤمنين : **{ الذين يستَمِعون القَولَ فَيتبِعون أَحسنَه }**(الزمر : 18) .

فكم من محاور يحركه هواه طلباً للشهرة والجاه والمباهاة والظفر بالخصم، والسرور بالغلبة والقهر، ولكن إذا ظهر الحق على لسان خصمه أخذته العزة بالإثم ورفض الحق، وقد قال الرسول ﷺ : " **الكبر بطر الحق وغمط الناس** "[86] أي دفع الحق وإنكاره ترفعاً وتجبراً، واحتقار الناس .

وقد أكد العلماء على هذا الخلق في التحاور حيث قال المعتصم الخليفة العباسي رحمه ا :" إذا نُصِر الهوى بطل الرأي "[87] وقال الإمام ابن تيمية : " والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف "[88] وقال أيضاً :" وليس مما أمر ا به ورسوله، ولا مما يرتضيه عاقل، أن تقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد، بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء، وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم إذ هم – و الحمد – أكمل الناس عقلاً، وأتمهم

---

(86) سبق تخريجه .

(87) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - مطبعة دار السعادة - ط 1449هـ - 311/2 .

(88) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - نشر دار الإفتاء – الرياض - ط 1 - 1398م - 109/4 .

إدراكاً، وأصحهم ديناً، وأشرفهم كتاباً، وأفضلهم نبياً، وأحسنهم شريعة "[89].

إن عدم العدل والإنصاف يرجع إلى الجهل والقصور العلمي بل وفساد النية وضيق الأفق، وعدم الاعتراف بآراء الآخرين، ومن كان هذا شأنه فليست لديه أهلية للحوار .

السابع عشر : التحلي بالحلم والصبر :

إن التحلي بالحلم والصبر يؤدي إلى النجاح في الحوار، لأن الحوار والمجادلة مظنة المشاحنة، وتحريك النفوس بالبغضاء، فتخرج الألفاظ أحياناً بالأذى والإيذاء، ومن الحلم أنه إذا بدأت مع الخصم في حواره كلمة كرهها أو أغضبته أن يتغاضى عنها، ولا يقابلها بالمثل لقوله تعالى : **{ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون }**(المؤمنون : 96). قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية : والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الطاقة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء السيئة"[90].

وقد كان موقف الرسول ﷺ واضحاً في هذه القضية عندما قال : "**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**"[91]، فالشديد هو الذي يملك نفسه عند الحوار، ويعتبر ذلك من أقوى علامات الفوز لأن الذي يغضب لا يدري ما يقول فيقع في الخطأ، والألفاظ المخالفة لأخلاق الحوار وبالتالي تسقط حجته .

الثامن عشر : تلمس الأعذار للمخالف :

من الضروري في إطار العلاقات الحوارية أن يحمل المسلم روحية التسامح وتلمس الأعذار العلمية الواقعية أو الموضوعية للمختلفين المخلصين. وعلى هذا الأساس يجب في ميدان الاختلاف التفرقة بين الأعمال الصادرة عن حسن نية والأعمال الصادرة عن سوء نية، دون أن يعني ذلك أن الخطأ الصادر عن حسن نية يمكن القبول به، بل يعني أنه من الأفضل التعامل مع صاحبه من منطلق : ليس من أراد الحق فأخطأ كمن أراد الباطل فأصابه. ومن شأن هذه الأخلاق والخصال أن تُوجد جواً مفعماً بالثقة البعيدة عن الأحكام النهائية المسبقة، وخالياً من الشحناء

---

(89) درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية - دار الكنوز الأدبية - الرياض – 1391هـ - تحقيق : محمد رشاد سالم درء 5 / 70 .

(90) التفسير الكبير - الإمام فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1411هـ - 1990م - 103/23 .

(91) رواه البخاري – 5 / 2267 – حديث رقم 5763 .

والتوتر، وبالتالي مناسباً للتخاطب والحوار[92].

التاسع عشر : إصلاح المنطق وتهذيبه :

وذلـك بـأن يكـون الكلام يسيراً جامعاً بليغاً، فيحترز المحاور عن الاختصار المخل في الكـلام، وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك، كما يتجنب الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التـي تحـتمل عدة معان، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد، وأن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع، فلا يخرج عما هما بصدده[93] .

وحـول هـذا الخلـق قال د. عثمان حسن :" ومن إصلاح المنطق تجنب اللحن في كلامه والإفصـاح عن بيانه، فإن ذلك عون له في مناظرته، ألا ترى إلى استعانة موسى كليم الله بأخيه هـارون علـيه السلام حيث قال : **{ واحلُلْ عقْدةً من لساني{27} يفْقهوا قولي{28} واجعل لي وزيراً من أهلي{29} هارون أخي{30}**(طه : 27-30)، وقال : **{ وأخِي هارون هو أفْصح مِني لِسـاناً فأرسـله معي ردءاً يصدقُني إني أخَافُ أن يكذبون }**(القصص : 34)، وكذلك لا يرفع صـوته عالـياً حتى يشق حلقه ويحمي صدره، فذلك من دواعي الغضب، ولا يضيف إلى الحجة قوة، بل يورث البلادة ... ولا يخفـي صوتـه إخفـاء لا يسمعه الحاضرون، فلا يفيدهم بشيء، بل يكون بين ذلك قواماً"[94] .

العشرون : احترام الحقيقة والأمانة في عرضها :

من القواعد والآداب التي تخدم الحوار وأطرافه- قاعدة احترام الحقيقة والأمانة في عرضها بنصـها وبإطارها الزمني والموضوعي.. ومن الإخلال الخطير بهذه القاعدة أن يعرض جزء من الكـلام وأن يسـقط الجـزء الآخر أو أن تُقتطع عبارة من سياقها، أو تُعزل عن مناسبتها.. ومن الإخـلال بهـذه القاعدة كذلك نقل الآراء والمواقف بدون تثبت أو أخذها ممن لا يجوز الاطمئنان إلى أمانته أو علمه[95].

ومـن قلـة الأمانة لي أعناق النصوص وتحميل كلام منقول مالا يحتمل، ومن قلة الأمانة الاستشهاد بآراء ضعيفة قد بان رجحانها. والمحاور الناجح هو الذي يعزو الأفكار إلى مصادرها ويتسـلح بالدلـيل والـبرهان الناصـع ويسـتعين بلغة الأرقام والإحصائيات، بعيداً عن التهوين

---

(92) انظر: التربية الحوارية – د. علي القرشي – ص101.

(93) انظر : مناهج الجدل للألمعي - ص 438، وضوابط المعرفة – الميداني - ص 383 .

(94) منهج الجدل والمناظرة – عثمان علي حسن - 763/2 - 764 .

(95) انظر: أدب الحوار- د. أحمد كمال أبو المجد - مجلة المسلم المعاصر- عدد(3) - ص94.

والتهويل.

الحادي والعشرون : التحرر من التعصب :

ينبغي على المحاور أن يتحرر من التعصب لآراء الأشخاص، وأقوال المذاهب والطوائف والأحزاب وأن يخلص تعالى ويتجرد للحق، فالحق هو ضالة المؤمن ينشده حتى ولو كان على نفسه، قبلته الدليل، فإن لاح له بادر بالانقياد له، وإن كان على خلاف المذهب الذي يعتنقه أو قول الإمام الذي يعظمه أو الطائفة التي ينتسب إليها. ورضي ا عن الشافعي الذي قال: "وا ما أبالي أن يظهر الحق على لساني أو على لسان خصمي".

"والمتعصب أشبه بامرئ يعيش وحده في بيت من المرايا فلا يرى فيها غير شخصه أينما ذهـب يمـنة أو يسرة وكذلك المتعصب لا يرى –رغم كثرة الآراء- غير رأيه فهو مغلق على وجهة نظره وحدها، ولا يفتح عقله لوجهة سواها، يزعم أنه الأذكى عقلاً، والأوسع علماً والأقوى دليلاً، وإن لم يكن لديه عقل يبدع، ولا علم يشبع ولا دليل يقنع"[96].

إن المتعصـب لا يرى إلا نفسه ولا يعتد إلا برأيه وهذا يحمله على أن تأخذه العزة بالإثم ورفض التسـليم بالخطـأ رغم علمه به، مع أن التسليم بالخطأ والاعتراف به من أسمى درجات الأخلاق وأكبر درجات الشجاعة. قال عبد الرحمن بن مهدي تلميذ عبيد ا بن الحسن العنبري أحد سادات أهل البصرة وفقهائها وعلمائها وكان قاضياً: كنا في جنازة فسألته –أي عبيد ا - عن مسألة فغلط فـيها، فقلت له أصلحك ا ، القول فيها كذا وكذا فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لئن أكون ذنباً في الحق خير لي من أكون رأساً في الباطل[97].

وقـد وقع لعمرو بن عبيد أنه قال في مسألة رأياً فأخطأ فيه فناقشه واصل بن عطاء فتبين لعمرو بن عبيد خطأه في تلك المسألة. فرجع إلى الحق قائلاً: ما بيني وبين الحق من عداوة[98].

ومـن أقـبح التعصـب، أن يكون هم المحاور إسقاط صاحبه وتتبع هفواته، والتحايل عليه رغبة في تحقيره، فمن كان ذلك شأنه فليهنأ ببغض الناس له.

---

(96) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. القرضاوي - ص121.

(97) تهذيـب الكمـال في أسماء الرجال – جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي – مؤسسة الرسالة – تحقيق: بشار معروف ط 1 - 1413هـ - 1992م - 19/ 25 .

(98) رسـالة المسترشـدين - أبو عبد ا الحارث بن أسد المحاسبي - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام ط 5 - 1409هـ - 1988م - ص62 .

الثاني والعشرون : الحرية في النقد وإبداء الرأي :

مـن أدب الحوار أن لا يكون إرهاباً فكرياً من أحد الطرفين ؛ لأن الإرهاب الفكري نوع مـن الاسـتبداد يضيق آفاق الحوار، ويقتل المواهب والملكات، ذلك لأن هناك علاقة جدلية بين الحـرية والإبداع، وكل صاحب سلطة وقدرة يجب أن يكون متسامحاً مع محاوريه وعنده القدرة على الإنصات والإصغاء والتحمل للرأي الآخر مهما كان مخالفاً، إن هذا التحمل نوع من التسامح الضـروري لإثراء الحوار، والوصول للحق، وبه تستطيع استنطاق المحاور ليفضي بكل ما لديه مـن آراء لتجلـية الحقـيقة، وهذا مطلوب لكل أحوال الحوار، فمطلوب من الزوج والأب والأم والشيخ والعالم والقاضي والمدير والحاكم، فكل في موقعه يشعر الآخرين بالأمان، وذلك ضرورة لكل حوار ناجح[99] .

الثالث والعشرون : تجنب الطعن والتجريح :

مـن الأخلاق التي يجب أن يتخلق به المحاور: ترك الطعن والتجريح في خصمه المخالف، والتماس العذر له، وإن كان مخطئاً في ظنه، وذلك لأنه قد يكون مصيباً وهو المخطئ، إذ لا يقين في الاجتهادات بصواب أحد القولين، كما أن المخطئ في هذه القضايا لا يجوز الطعن عليه بحال، لأنـه معـذور في خطئه، بل مأجور عليه بنص الحديث النبوي الشريف. فكيف يجرح أو يطعن عليه في أمر هو مأجور عليه من الله تعالى. فضلاً أن النبيﷺ يقول :" **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء** "[100].

كـان ابـن قدامة - صاحب المغني - إذا أراد أن يناظر أحداً تبسم في وجهه. فيقول أحد العلماء : هذا والله يقتل الناس بتبسمه. يقول المتنبي:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم   ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

والمعـنى: إن التبسم، والأريحية، والهدوء يقتل الخصم، لأن الخصم يريد منك أن تتفاعل، وأن تتأثر، وأن تحترق بداخلك، فإذا أظهرت له أنك لا تتأثر وأنك هادئ احترقت أعصابه[101].

الرابع والعشرون : نصب الحاكم بين المتخاصمين :

يحـتاج المتخاصمان إلى حاكم متفق عليه بينهما، يقطع الشجار غير متهم بشيء من الجهل

---

(99) انظر : الحوار في ضوء الكتاب والسنة للقادري - ص 2 .

(100) سبق تخريجه ص 22 .

(101) انظـر: فـي رحاب الأخوة - د. عائض بن عبد الله القرني - دار ابن الجوزي - 1423هـ - 2002م - ص167 .

والهـوى والاسـتكبار، يحكـم بينهما بالعدل والإنصاف ولا يميل مع أحد الطرفين على حساب الآخر، وقد كان في السابق الولاة والأمراء يحكمون بين المتناظرين ويحفظون كلامهم ويرجحون مـن كان أقوى حجة وبرهان، ونلاحظ في هذه الأيام البرامج الحوارية على شاشات التلفاز حيث إن هـناك مـن يديـر الحوار ويحدد الوقت لكل محاور، كما أنه يفصل بينهما إذا اشتدت معركة الحوار . إذاً لا بد من حكم يدير الحوار ويصدر الحكم في النهاية لبيان الحق والصواب .

الخامس والعشرون : البعد عن المراء[102] واللدد في الخصومة :

ومن الأخلاق والآداب التي تقرب المسافة بين المتحاورين : البعد عن المراء المذموم واللدد فـي الخصـومة، فالإسلام وإن أمر بالجدال بالتي أحسن - ذم المراء، الذي يراد منه الغلبة على الخصـم بـأي طريقة، دون التزام بمنطق ولا خضوع لميزان بين الطرفين، وهذا ما ذمه القرآن الكـريم قـال تعالى: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}**، وهذا المراء هو الذي ذمه النبي ﷺ :"**أَنَـا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْـتٍ فِـي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ...**"[103].

وقال أيضاً :" **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }**(الزخرف :58)[104]. وقال ﷺ أيضاً :"**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ** "[105].

" إن المـراء يغلق باب الحوار ويلغيه، لأنه يدفع طرفي الحوار إلى التصور الخاطئ : بأن حوارهما هو مباراة لا تكون نتيجتها إلا قاتلاً أو مقتولاً. فلا يبحث كل منهما عن حقائق أو أدلة، وإنما يكون بحثه وجهده في محاولة إغراق الآخر في طوفان من الكلام الذي يضيع الوقت والجهد

---

(102) المـراء : هـو طعـن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير. التعريفات علي بن محمد الجرجاني
- دار الكتاب العربي – بيروت – ط 1 – 1405هـ - ص 266.
تحقيق : إبراهيم الأبياري

(103) أخرجه أبو داود – 2 / 668 – حديث رقم 4800، قال الشيخ الألباني : حسن، ومعنى زعيم: أي كفيل. والربض: الأسفل.

(104) أخـرجه الترمذي 5 / 378 – حديث رقم 3253، وقال: حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: حسن .

(105) أخرجه البخاري – 4 / 1644 – حديث رقم 4251، والألد : الشديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي أي جانبيه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر.

في غير فائدة ويوغر الصدور ويكرس الفرقة "[106].

السادس والعشرون : اختيار الظرف المناسب:

واختـيار الظـرف المناسـب- سواء كان زماناً أو مكاناً ضروري عند الحوار: فالزمان المناسب للأطراف المتحاورة يساعد على طرح القضايا المتنازع أو المختلف فيها بهدوء وروية، ثـم اسـيفاء حقهـا في النقاش رداً وتوضيحاً،هذا بخلاف ما لو تم الحوار في وقت أذهانهم فيه مصروفة بما يشغلها من هموم الحياة ومشاكلها.

إضـافة إلـى هذا المكان المناسب، فإذا كانت الأطراف المتحاورة على مستوى عالٍ من الـثقافة وتَطلـب موضوع الحوار أن لا يحضره العامة من الناس فالأولى: أن يجرى بعيداً عنهم كالمؤتمرات والندوات الثقافية، أو البيوت والمكاتب والملتقيات الخاصة. وإن كان يتطلب إجراؤه أمـام الخاصـة والعامـة فيجب اختيار الظرف –الزمان والمكان- المناسب للأطراف المتحاورة والحضور من العامة، كما حدث لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون، حيث حاوراه أولاً في قصره بحضور خاصته، ولما تمادى في طغيانه، وكفره اتفقوا على أن يكون اللقاء الثاني فـي مكـان وزمان يحضره من شاء من الناس –الخاصة والعامة- فكان يوم الزينة[107]. ويلحق باختـيار الظرف المناسب، تهيئة الجو المناسب بالتعارف إذا لم يكن هناك تعارف مسبق، ويكون في هذا التعارف شيء من التحبب والتودد، كأن يقول: أنا أخوك فلان، أو أنا تلميذك فلان، وبهذا يتهيأ الجو للحوار والنقاش. ومن لطافة ما استدل به بعض أهل العلم في هذا أن ا جل وعلا لما دعا موسى عليه السلام إلى الطور، ليكلمه قال له جل وعلا : **{وما تلك بيمينك يا موسى}**(طه : 17)، وذلـك لإزالـة الوحشـة وتخفيف الهيبة والرهبة. " فلم يكن سؤال ا لموسى عليه السلام سؤال استعلام، لأن ا يعلم أنها عصاه وإنما سؤال إيناس واسترواح، فا يريد أن يشعر موسى بالأنس والراحة، يريد أن تهدأ أعصابه، وأن تطمئن نفسه، وان ترتاح مشاعره، لأنها ليلة خاصة تجـري فـيها أحداث خطيرة، وستمر به بعد قليل أحداث مخيفة مفزعة، ولابد أن يقابلها موسى بهدوء وأنس واطمئنان "[108].

---

(106) لمحات في فن الحوار- محمد محمد بدري - مجلة البيان - عدد 87.

(107) انظـر: أدب الحوار والخلاف في الشريعة الإسلامية - د. أحمد صحاوي - مجلة دراسات - ص 118.

(108) القصص القرآني- عرض وقائع وتحليل أحداث - د. صلاح الخالدي - 360/2.

السابع والعشرون : الإقلاع عن ثقافة إفحام الخصوم :

يفقـد الحـوار أو المناظرة قيمتها الإيجابية حين يخطط لهما بشكل مبيت لإحراج الطرف الآخر أو تعريته أو دمغه وبالتالي إقصائه من الدائرة.

ضمن هذه الثقافة لا يكون هم المحاور الحرص على إظهار الحق والصواب وكسب الآخر، بـل مجـرد إشباع شهوة التغلب وتحقيق الانتصار. والحوار الذي ينطلق من هذه الثقافة، هو بلا شـك يـنطوي على نزعة ذاتية قوامها الأنانية وحب الإساءة أو الحقد والافتقار إلى روح الهداية والمسـئولية. فـي ظـل هذا اللون من الحوار فمن المتوقع لجوء المتحاورين إلى سلوك مختلف الأساليب والوسائل الجدلية المحقة والباطلة النظيفة وغير النظيفة، للوصول إلى الأهداف المعقودة كما لا يمكن في ظل إتباع أساليب ووسائل كهذه أن يكون ثمة معنى للتفكير في المصلحة العامة أو بحساسـية الموقف، ذلك أن رغبة الجدل وروح المراء والمباهاة تظل تهيمن على من يلجأ إلى ذلك فلا يراعى مقتضيات الائتلاف ولا يرعوي عن فتنة السقوط في مضيق الخلاف وفي أمثال هـذا الصنف من الناس قال ﷺ :" **لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار** "(109).

الثامن والعشرون : الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية :

إن الخـلاف فـي الرأي أمر مقرر شرعاً، ولكي نحافظ على سلامة القلوب يجب أن نبتعد عمـا يسـيء ويجرح، وأن نعفو عن الخصم إذا صدرت منه بعض الكلمات المسيئة إذا خرجت عفـواً، فخلـق التسـامح مطلوب لتبقى العلاقة الأخوية أعلى من أي اعتبار آخر، ولو أن كل خـلاف فـي الرأي أدى إلـى مدابرة وهجر ومقاطعة لتمزق بناء المجتمع شر ممزق، ومع ذلك فـإن هـذه الحالة موجودة بين بعض العاملين في الحقل الإسلامي مع الأسف الشديد، حيث تغلي صدورهم حقداً على كل من خالفهم في الرأي، ولا يتورعون عن القدح في مخالفيهم متهمين إياهم في عقيدتهم وأخلاقهم بحضورهم وغيابهم – متجاهلين النواهي عن ذلك – إرضاء للهوى وتعصباً ذميماً لآرائهم ومنهجهم(110) .

وما أجمل كلام الإمام حسن البنا عندما يقول في رسائله تحت عنوان : (نعتذر لمخالفينا) :" فلنلـتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً

---

(109) أخـرجه ابـن ماجـه– المقدمة – 93/1 حديث رقم 254، قال الشيخ الألباني : صحيح، وانظر: التربية الحوارية - د. علي القرشي - ص 102.

(110) الحوار في ضوء الكتاب والسنة للقادري - ص 5 .

حـائلاً دون ارتـباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضـل حدوده وأوسع مشتملاته ... لماذا لا نتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك مـا يدعـو إلى التفاهم، هؤلاء أصحاب رسول ا ﷺ كان يخالف بعضهم بعضاً في الإفتاء، فهل أوقـع ذلـك اختلافاً بينهم في القلوب ؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم ؟ اللهم لا . وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد "(111) .

ولـنا فـي مواقـف السـلف القدوة الحسنة حيث قال يونس الصدفي :" ما رأيت أعقل من الشـافعي ناظـرته يوماً في مسألة ثم افترقنـا ولقيني فأخـذ بيـدي، ثم قال : يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة ؟ "(112) .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه ا يعطينا درساً في الود عند الاختلاف في الرأي حيـث روي أن الإمـام أحمـد جـاءه على بن المديني راكباً على دابتـه فتناظرا في الشهادة – أي الشـهادة بالجـنة للعشـرة المبشرين بها – وارتفعت أصواتهما، وكان الإمام أحمد يرى الشهادة، والإمام علي يأبى ويدفـع، فلما أراد الإمـام علي الانصراف قام الإمام أحمد وأخذ بركابه"(113).

ويبين الإمام ابن تيمية كيفية التعامل في حال التنازع والاختلاف فيقول :" وقد كان العلماء مـن الصحابة والتابعين ومن بعدهـم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر ا تعالى في قوله : **{ يا أيهـا الذين آمنُوا أَطِيعوا الله وأَطِيعوا الرسولَ وأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازعتُم فِي شَيءٍ فَردوه إِلى اللهِ والرسول إِن كُنْتُم تُؤْمِنُون بِاللهِ والْيـَومِ الآخِرِ ذَلِك خَير وأَحسن تَأْوِيلاً }**(النساء: 59)، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملـية مـع بقـاء الألفـة والعصـمة وأخوة الدين . نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضـة أو مـا أجمـع علـيه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل فيه أهل البدع... وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يعد بين المسلمين عصمة ولا أخوة "(114).

---

(111) مجموعـة رسـائل الإمـام حسن البنا - دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة - 1313هـ - 1992م - ص 26 .

(112) سير أعلام النبلاء - للإمام الذهبي - مؤسسة الرسالة بيروت - ط 9 - 1413هـ - 16/10 .

(113) أدب الاختلاف - محمد عوامة - دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان - ط 3 - 1418هـ - 1997م 72 - 73 .

(114) مجموع الفتاوى - البن تيمية 172/24- 173 .

إن المفترض في كل متناظرين أنهما طالبان للحق، ولكـن قـد يخفى الحق عليهما أو على أحدهمـا، وقـد يكون سبب ذلك خفاء الدليل أو الدلالة فتقع المناظرة، وربما لا يتفقان على رأي واحـد، ولكن يجب أن تبقى النية الأولى موجودة وهي طلب الحق، فهذا الاختلاف لا يقطع حبل المـودة بيـنهما ولا يعكـر صـفو القلـوب بل يبقى حبل الأخوة قائماً حرصاً على وحدة صف المسلمين.

التاسع والعشرون : الاختصاص : ونقصد بالاختصاص أن يكون المحاور عالماً بالموضوع الذي يـريد أن يـتحاور من أجله وملماً بكل ما هو جديد حوله، وقد اقر القرآن الكريم هذه الحقيقة من خلال محاورة إبراهيم عليه السلام لأبيه فقال تعالى: **{يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعنـي أهدك صراطاً سوياً}**(مريم : 43)، كما رسم القرآن الكريم طريق المحاور الناجح على أساس من العلم اليقيني والحجة البالغة والبصيرة النافذة فقال سبحانه :" **{قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}**(يوسف : 108).

فمـن تصـدر لمهمة الحوار فعليه أن يتقن مادته ويعدها إعداداً جيداً ليكون ربانياً ماهراً في إدارة الحوار فيؤثر في النفوس ويصل إلى القلوب علها تهتدي إلى الحق وتأوي إلى ركن شديد.

الثلاثون : ختم الحديث بكلمات وعبارات حسنة :

بعـد نهاية المناظرة والحوار بين المتناظرين وظهور الحق على يد أحدهما والتسليم به لا بد مـن شكر ا عز وجل أولاً وحمده ثم تقديم الشكر لكلا الطرفين بقلب خالص دون ترك أية آثار فيها نوع من الحقد والعداوة والبغض، وظهور الابتسامة على وجه كل منها، مع انشرح دال على سعة الصدر، وإنهاء المناظرة عن رضا واقتناع " سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أن أسـتغفر وأتـوب إلـيك " وقوله تعالى : **{والعصر{1} إن الإنسان لفي خُسرٍ{2} إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر{3}** (العصر : 1-3).

الخاتمة :

الحمـد الـذي بنعمـته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبوات والرسالات وعلى آله وصحبه أجمعين . . . وبعد:

فقـد أعانني ا على كتابة هذا البحث، ويسر لي بفضله ومنّته وكرمه السبل للوصول إلى خاتمـته، فلـه سبحانه وتعالى الحمد والمنة، وله الشكر من قبل ومن بعد، فهذا الجهد المتواضع حاولـت من خلاله إلقاء الضوء على ضوابط الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، وقد خرجت بالنتائج الآتية:

1- حـوار القرآن للمشركين والكفار والمنافقين كل حسب أحوالهم ومعتقداتهم فيحاور المشركين

حوار هداية والمنافقين حوار شدة وتهديد وتعنيف والكفار حوار تحدٍّ وتخويف .

2- إن على أبناء الأمة الإسلامية التخلق بأخلاق الحوار في المناقشات والخلافات.

3- للحوار أخلاق لا بد وأن يتعرف عليها المحاور قبل الحوار ثم يلتزم بها .

4- إن فهم منهج الحوار والتعرف على ضوابطه يؤدي إلى سلامة الحوار وتحقق نتائجه .

5- إن واجب المختلفين أن يتحلوا بآداب السلف في اختلافاتهم وإن خرج أحدهم عن أدب الحوار وجب على الآخر أن يبقى ملتزماً به ومحتفظاً بخلقه الإسلامي .

6- المحـاور الناجح هو الذي لا يعتمد في حواره السخرية والتشهير وإنما يقصد هدم فكرة باطلة أو مبدأ منحرف عن جادة الإسلام.

7- ضـرورة أن يعتمد القادة والزعماء والعلماء والمعلمون الحوار وأن يكون الحوار منهجهم في عملهم لأن ذلك يحقق لهم النجاح والسعادة.

8- كشف هذا البحث عن الصفات والأخلاق الحميدة التي يجب على المحاور المسلم أن يتحلى بها عند دعوة غير المسلمين .

9- إن الإسلام دين يقر مبدأ حرية الرأي ويضع الضمانات والضوابط لذلك.

10- إن الانفتاح على الآخر مهما كان نوعه ومحاولة تعقله، يساعد في فهمه واستيعابه.

توصيات مقترحة :

أوصي في ختام هذا البحث بالتالي:

1- إشـاعة ثقافـة الحوار والجدال بالتي هي أحسن وذلك عن طريق الدعوة إلي إقامة الندوات والمؤتمـرات العلمـية لنشر وعي إسلامي حول أدب الحوار والخلاف وشروطه وضوابطه لتصبح ثقافة الحوار ثقافة شائعة.

2- كمـا أوصـي بإنشاء مركز للحوار في الجامعات ومراكز البحث لخدمة الحوار الإسلامي- الإسلامي لتعليم ثقافة الحوار وتعميمها.

3- كما أوصي بإصدار مجلة لخدمة هذا الغرض عنوانها مجلة "الحوار".

4- يجب أن يكون الطرف المشارك على المستوى المطلوب من الكفاءة الدينية والعلمية.

5- يجـب أن لا يكون الحوار مع الآخر وسيلة لمناقشة بعض القضايا الشرعية كالحجاب، وتعدد الزوجات، وغيرها من الأحكام الشرعية للطعن فيها.

وفـي الخـتام أسـأل الله تعـالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني الإخلاص في السر والعلن والسداد في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.

مصادر البحث ومراجعه :

أولاً : المراجع والمصادر العامة :

– القرآن الكريم .

1– إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار المعرفة – بيروت.

2– أدب الاخـتلاف - محمـد عوامـة - دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنـان - ط 3 - 1418هـ - 1997م.

3– أدب الحوار – د. أحمد كمال أبو المجد – مجلة المسلم المعاصر – العدد الثالث.

4– أدب الحوار – د. محمد بخيت – كتاب مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر.

5– أدب الحـوار - محمـد حـافظ سليمان - مجلة الأزهر - الجزء الخامس - السنة السابعة والستون - مجمع البحوث الإسلامية - 1415هـ – 1994م .

6– أدب الحوار في الإسلام - د. محمد سيد طنطاوي- ط دار النهضة - مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1997م.

7– أدب الحوار والخلاف في الشريعة الإسلامية - د. أحمد صمادي- مجلة دراسات- العدد(1).

8– الإسـلام والعلمانـية وجهاً لوجه - د. القرضاوي- بتصرف شديد، دار الصحوة – ط 2 - 1414هـ- 1994م .

9– تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - مطبعة دار السعادة - ط 1449هـ.

10– التربية الحوارية- د. علي القرشي- مجلة المسلم المعاصر- العدد 88.

11– تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور- دار سحنون للنشر والتوزيع.

12– تفسير الكشاف - أبو القاسم جار ا محمود بن عمر الزمخشري - دار المعرفة - بيروت.

13– تهذيـب الكمـال فـي أسماء الرجال – جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي – مؤسسة الرسالة – تحقيق: بشار معروف ط 1 - 1413هـ - 1992م.

14– التفسـير الكبـير- الإمام فخر الدين الرازي- دار الكتب العلميـة – بيـروت - ط 1 - 1411هـ - 1990م.

15– الحوار : أصوله وضوابطه وأثره على الدعوة الإسلامية – أ. يوسف علي فرحات - كتاب مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر.

16– الحوار في ضوء الكتاب والسنة – للقادري .

17- الحـوار مـع الآخـر في الإسلام - أحمد صدقي الدجاني – مجلة التسامح، العدد 2 –

2003م.
18- خطابـنا الإعلامـي فـي عصر العولمة - د. يوسف القرضاوي - دار الشروق، ط 1 - 1424هـ - 2004م.
19- درء تعـارض العقـل والنقل - ابن تيمية - تحقيق : محمد رشاد سالم درء - دار الكنوز الأدبية - الرياض – 1391هـ.
20- رسالة المسترشدين - أبو عبد ا الحارث بن أسد المحاسبي - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام ط 5 - 1409هـ - 1988م.
21- سنن الترمذي - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي – بيروت.
22- سير أعلام النبلاء - للإمام الذهبي - مؤسسة الرسالة بيروت - ط 9 - 1413هـ.
23- السيرة النبوية - ابن كثير - تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة – بيروت – لبنان -1402هـ - 1982م.
24- الصـحوة الإسـلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - د. القرضاوي- مؤسسة الرسالة- ط الثالثة، 1414هـ - 1993م .
25- صفوة الصفوة - عبد الرحمن أبو الفرج - ط 2 - 1399هـ - دار المعرفة - بيروت .
26- ضوابط المعرفة - الميداني- ط2 - 1401هـ -1981م - دار القلم - بيروت.
27- القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث – د. صلاح الخالدي - دار القلم- دمشق- 1419هـ - 1998م.
28- الكافـية فـي الجدل – إمام الحرمين الجويني – تحقيق : د. فوقية محمود – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – 1300هـ - 1979م.
29- كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس - ديل كارينجي- مكتبة مدبولي - 2002م.
30- كـيف نحـول الحوار إلى تفاهم والعراك إلى تفاهم - فاضل الصفار - مجلة النبا - مجلة فكـرية شـهرية - المسـتقبل للثقافة والإعلام - العدد 36 - 37 السنة الخامسة جمادى الأولى 1420هـ -1999م.
31- فتح الباري – ابن حجر العسقلاني - ط دار الفكر.
32- فتح القدير - الإمام محمد الشوكاني - دار المعرفة - بيروت.
33- فـنون الحـوار والاقـناع - محمـد ديمـاس – إصدار مركز التفكير الإبداعي- دار ابن الجوزي– ط1- 1420هـ -1999م.
34- في أصول الحوار - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط4 - 1416هـ - 1995م.

35– في رحاب الأخوة - د. عائض بن عبد ا القرني - دار ابن الجوزي - 1423هـ - 2002م.

36– في ظلال القرآن- سيد قطب- ط 7 - سنة 1398هـ -1978م - دار الشروق- القاهرة- بيروت .

37– فيض القديـر - عبد الرحمن المناوي - ط 1 - 1356هـ - المكتبة التجارية – مصر.

38– لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور - دار صادر – بيروت – ط 1 .

39– لمحات في فن الحوار- محمد محمد بدري - مجلة البيان - عدد 87.

40– مجادلة جادة لا مراهنة - د. جعفر شيخ إدريس - مجلة البيان - العدد 190.

41– مجموع الفتاوى - ابن تيمية - نشر دار الإفتاء – الرياض - ط 1 - 1398م .

42– مجمـوع الفتاوى - شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية- دار إحياء الكتب العربية- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم .

43– مجموعة رسائل الإمام حسن البنا - دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة - 1313هـ - 1992م.

44– معجـم مقايـيس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ممصر - ط 2 – 1389هـ - 1969م .

45– مقدمة ابن خلدون – دار الشعب (بدون معلومات أخرى) .

46– مناهج الجدل في القرآن الكريم - الألمعي - مطابع الفرزدق التجارية – الرياض.

47– مـنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد - الدكتور عثمان علي حسن - ط 1 - 1420هـ - 1999م - دار اشبيليا - الرياض بالسعودية.

ثانياً : مواقع إلكترونية :

48– أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد ا بن حميد، موقع : صيد الفوائد
http://saaid.net/pfv.php

49– الحـوار مع الذات. والآخر - عبد الستار ابراهيم الهيتي - سلسلة كتاب الامة (99)، موقع الوحدة الاسلامية .
http://www.alwihdah.com/download.asp

50– الحـوار منطلقنا نحو البناء - محمد علي الحرز - الحوار وآدابه – 2004 - موقع الوحدة الإسلامية،2004.
http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=762

51– الحوار وتوجيه الأبناء - علي بن هشبول الشهري - موقع الوحدة الإسلامية - 2003.
http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=287

52– نحو منهج في الحوار والتخاطب - موقع الوحدة الإسلامية - 2004 .
http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=1&id=915